أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei Al-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

النسمات الندية

من

الشمائل المحمدية

تأليف
سلمان بن أحمد السعيد

الإصدار الستون
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

النسمات الندية
من
الشمائل المحمدية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

الطبعة الأولى

الإصدار الستون

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧

الصفاة ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:

www.alwaei.com

الإشراف العام:

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Wasl AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

النسمات الندية من الشمائل المحمدية

تأليف
سلمان بن أحمد السعيد

الإصدار الستون
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

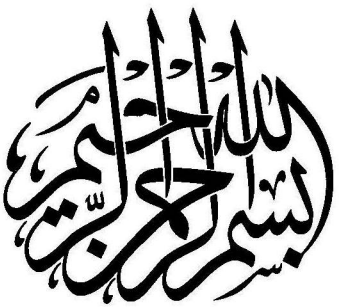
بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم رئيس تحرير مجلَّة «الوعي الإسلامي»

الحمد لله علّام الغيوب، المطّلع على أسرار القلوب، ذي العزّة والكبرياء، والحلم والعلياء، مُسْبغ أصناف الآلاء، ودافع نوازل البلاء، وجاعل العلماء ورثة الأنبياء، ومؤيّدهم في حفظ سنَّة خاتم الأنبياء، وحماية حديثه من الكذب والافتراء، ومودعه في صدور الحفّاظ الأتقياء.

وأشهد أن لّا إله إلّا الله وحده لا شريك له، يعلم السرّ وأخفى، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبده ورسوله، الذي بصّر الله به من العمى، وأقام به معالم الهدى، اللّهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمَّد وعلى آله وأصحابه أولي النهى.

أمّا بعد:

فإنّ العلم والثقافة الشرعيّة ميدانٌ خصبٌ لكلِّ متعلِّم؛ إذا أراد أن يستزيد من الإحاطة بلغته، ودينه، ومبادئ أمته.

وحتَّى ينتشر هذا الوعي ويعمّ، كان لا بد من توفير المواد العلميّة اللَّازمة له، ومن أهمِّ تلك الموادِّ: الكتب بمختلف أنواعها ومناهجها ومستوياتها، شريطة أن تكون نافعة بنّاءة جادّة.

ولأجل تواصل المثقَّفين شرقًا وغربًا، وتنامي الشعور بالانتماء، وتقوية أواصر الارتباط الثقافي بين شعوب الأمّتين العربيّة والإسلامية، كانت فكرة الاجتهاد في إخراج الكنوز التراثية، وطباعة الرسائل العلميّة، أولويَّةً عمليَّة في مجلَّة «**الوعي الإسلاميّ**»، فهي بذلك تسعى لزرع الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة، بشتَّى صنوفها، في الناشئة والمبتدئين، وفي الصغار والكبار، على حدٍّ سواء.

وقد جَمعتْ مجلّة «**الوعي الإسلاميّ**» طاقاتها وإمكاناتها العلميّة والمادِّيَّة لتحقيق هذا الهدف السامي، فتَيسَّر لها بفضل الله تعالى إخراج عدد ليس بالقليل من هذه الكتب والرسائل.

وكان لها نصيب وافر من الحفاوة والتكريم في كثير من المجتمعات داخل الكويت وخارجها، وذلك لما تميَّزت به هذه الإصدارات من أصالةٍ وقوّةٍ ووضوحِ منهج، ومراعاةٍ لمصلحة المثقَّف، وحاجته العلميّة.

ومن هذه الإصدارات النافعة الرسالة العلمية:

«**النسمات النديَّة من الشمائل المحمَّدية**»
للشيخ الفاضل/ سلمان بن أحمد السعيد
حفظه الله ورعاه

ومجلّة «**الوعي الإسلاميّ**» إذ تقدّم هذا الإصدار لقرّائها، فإنّها

تتوجّه بخالص الشكر والتقدير للشيخ الفاضل على إذنه الكريم بطباعة الرسالة، نسأل الله له التوفيق والسداد.

والحمد لله رب العالمين

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وسيد رسل الله محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم أن نلقاه، وبعد:

فهذه نسمات ندية من خلال الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية، نعيش معانيها ونتعرف على بعض جوانبها مهتدين مقتدين بآثار وأخلاق وصفات سيد الخلق والمرسلين ﷺ، وهذه النسمات لبعض الشمائل والأحوال والصفات للنبي ﷺ المقصد منها العيش والإطلاع على جوانب من حياة المصطفى ﷺ المليئة بالعبر والأنوار الربانية في حياته ومعايشته لأصحابه وللأمة عموماً، لتكون للسالكين هداية على الطريق، وللملتزمين بهدي النبي ﷺ نوراً وقدوة، وللجاهلين بذلك بياناً ومعرفة وعلماً.

ولم نشمل في حديثنا كل الشمائل المحمدية والصفات النبوية، وإنما على بعضها لأنها كثيرة الجوانب ومتعددة الأحوال ويكفي أن نعيش من خلال بعضها معرفةً واهتداء؛ لأن حياة النبي ﷺ عظيمة جليلة لا تحصى فضائلها ولا تعد مناقبها، وهي في كتب أهل العلم متناثرة، وفي حياة أصحاب رسول الله ﷺ معلومة ظاهرة حيث قربهم الجسدي

من رسول الله ﷺ ومعرفتهم لشمائله عن قرب ومخالطة ومعايشة، فمن وقف على حياة الأصحاب رضي الله عنهم وعاش سيرتهم الطاهرة عرف منها شمائل النبي ﷺ، ورأى أثر شمائله ﷺ فيهم وفي واقع حياتهم وأخلاقهم وتعاملهم. ونحن نقتبس شيئاً منها وهي لا تمل ولا يسأم منها من اطلع عليها، وإنما أردنا أن نضع إشارات لطيفة يهتدي بها السالكون وتنير الطريق للمقتدين، وتكون منارات هداية وعمل للمتقين العاملين، وهي عبارة عن وقفات ونسمات مما يفتح الله به عليَّ لإيصالها إلى قلوب السائرين وأرواح المتحابين والمحبين، وهي نسمات موجزة وتعليقات بسيطة لإيضاح المعنى وإيصال القصد إلى النفوس.

ولهذا أسميت هذه النسمات: «النسمات الندية من الشمائل المحمدية».

متطرقاً إلى الشمائل المتنوعة النبوية وهي كثيرة جداً والتي منها: خَلقية، وخُلُقيّة، ونفسية وقولية وعملية، وغيرها من النسمات، ونضع تحت كل نوع منها بعض ما يوضحها من شمائل الحبيب المصطفى ﷺ، والتعليق عليها والوقوف عندها ومن خلالها، ومن خلال حياة النبي ﷺ، هذا وقد ألَّف كثير من العلماء في شمائل النبي ﷺ كتباً كثيرة، والتي من أشهرها «الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي رحمه الله وعليه شروح كثيرة، وكذلك «شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله

وخصائصه» للإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، وكذلك «الوفا بأحوال المصطفى» لابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرها من كتب السيرة والتي خصصت في حياة النبي ﷺ جزءاً كبيراً تكلمت عنه، وفي آخر كتاب «صحيح الجامع الصغير» للألباني غفر الله له وجزاه الله خيراً، في المجلد الثاني الجزء الرابع فصلاً خاصاً بالشمائل الشريفة، وكان هو مرجعنا في هذه الشمائل التي نعيش خلال نسماتها ونفحاتها.

هذا والله تعالى أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه ومعلمه، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة، وأن يحشرنا في زمرة وتحت لواء رسول الله ﷺ.

وأسأل الله تعالى الإعانة فيما نتوخى فيه الإبانة، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه.

والحمد لله رب العالمين

سيبقى الخط بعدي في الكتاب ... وتبلى اليد مني في التراب

فيا ليت الذي يقرأ كتابي ... دعا لي بالخلاص من الحساب

أبو عبد الرحمٰن

الجمعة: ١٧/ من رجب/ ١٤١١هـ

الموافق: ١/ ٢/ ١٩٩١م

فصل

في وجوب اتباع النبي ﷺ

لقد أوجب الله تعالى على المؤمنين اتّباع النبي ﷺ. والاقتداء بأمره والاهتداء بهديه، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]؛ بل جعل الله تعالى طريق محبته لا يتم إلا باتّباع النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]. قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقد ادّعى قوم محبة الله تعالى فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾، والله جلّ وعلا جعل في اتّباع وطاعة النبي ﷺ تحقق الهداية الواقعية للقلب فقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

بل إن الله تعالى جعل طاعة النبي ﷺ من طاعته، وأن الذي لا يتبع ولا يطيع النبي ﷺ هو في الحقيقة غير مطيع لله تعالى فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠]. فاتّباع النبي ﷺ وطاعته أمر واجب على الأتباع والسائرين على طريق الله،

والله تعالى حذّر الذين لا يتبعون النبي ﷺ ولا يحكّمونه بينهم، حذرهم من أن الإيمان منفي من قلوبهم حتى يخضعوا ويتبعوا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. وحذّر الله تعالى المخالفين لأمره ﷺ أن تصيبهم فتنة في نفوسهم ودينهم وثباتهم فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وجعل الله تعالى في طاعة واتّباع الرسول ﷺ نزولَ الرحمة على القلوب، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦]، فلا رحمة تنزل على القلوب والنفوس من الله إلّا من خلال طاعة رسول الله ﷺ واتّباع أوامره. بل علّق الله تعالى الفوز والفلاح على مسألة الطاعة لله ولرسوله ﷺ فقال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥٢]. بل إن الله تعالى رد إيمان المدعين باتباع رسول الله ﷺ عليهم ووصفهم بالنفاق وحكم عليهم بنفي الإيمان عنهم نتيجة إعراضهم وتوليهم عن حكم رسول الله ﷺ ومتابعته، فقال تعالى عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور: ٤٨]، وبيَّن الله حقيقة المؤمنين المتبعين الذين إذا دعوا إلى الله

ورسوله ﷺ حكماً ومتابعة خضعوا وأطاعوا وسمعوا وتركوا آرائهم وأهوائهم وآراء الرجال ونظرات العقول واتبعوا أمر الله ورسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

والذين لا يتحاكمون إلى النبي ﷺ ولا يلتزمون أمر الله تعالى هم منافقون، كما وصفهم الله تعالى فقال عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١]؛ لأن المنافقين ومن سار على طريقهم الباطل هم يعرفون أنهم مخالفون وأنهم مخطئون، ولذلك يصدون عن التحاكم للدليل الواضح من الكتاب والسُّنَّة حتى لا تفتضح أعمالهم الدنيئة ولا تكشف نواياهم الخسيسة، ولذلك هم يرفضون ويصدون عن التحاكم إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ﷺ؛ لأن ذلك في نظرهم ليس في مصلحتهم ويكشف أمرهم ويوقف غيرهم على حقيقتهم وهم لا يريدون ذلك؛ فلهذا يصدون صدوداً ويعرضون إعراضاً كبيراً.

وجعل الله تعالى المطيعين لله ورسوله ﷺ في صف أهل الإيمان والتقوى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]. وهذا فضل كبير من الله تعالى لمن

جرد الاتباع وجرد الطاعة لله ورسوله ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٧٠].

ولهذا أرشد الله تعالى عقول المتَّبعين وقلوب المهتدين إلى القدوة الحسنة التي ينبغي عليهم أن يقتدوا بها ويتبعوها ويسترشدوا بها ويتركوا كل قدوة أخرى، ولا ينظروا لغير هذه القدوة الحسنة، فقال تعالى مبيِّناً ذلك: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]. ولا ينتفع بالاتباع الصحيح والطاعة الواضحة لرسول الله ﷺ إلا من اتصف بالصفات الثلاث المذكورة في الآية:

أ ـ يرجو الله.

ب ـ ويرجو اليوم الآخر وينظر في العواقب.

ج ـ وذكر الله كثيراً.

فمن لم يتَّصف بهذه الصفات كان اتباع صاحبها هشاً وطاعته مخلخلة، سرعان ما يتزعزع عند اختلاط الأمور واختلاف العقول، ومن اتصف بالصفات السابقة صدقاً وإخلاصاً وواقعاً إنتفع بالاتباع وهُدِي إلى صراط مستقيم. ولهذا كان النبي ﷺ يُربّي أصحابه رضي الله عنهم على وجوب الاتباع فكان ينهاهم عن كثرة السؤال وكثرة المخالفة، ويبين لهم أن في ذلك هلكة ويأمرهم بالاتباع لأوامره والانتهاء عن نواهيه ﷺ، فكان مما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال: «**دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[1].

وكانت وصية رسول الله ﷺ في الموعظة البليغة التي ذرفت منها العيون ووجِلت منها القلوب؛ أنه قال لهم موضحاً اختلاف الأمور واختلاطها في آخر الزمان، فأوصاهم قائلاً: «.... **فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»[2].

وكان ﷺ يبيِّن لأصحابه رضي الله عنهم مربيّاً لهم ومهذباً لنفوسهم وحاثّاً لهم على الاتّباع دون المخالفة ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[3].

ولمّا يقع خلاف بين القلوب وعداوة وبغضاء ومنافرة وكراهية إنما ذلك بسبب عدم الاتّباع الصحيح للنبي ﷺ؛ فجاء عنه ﷺ قوله: «**عباد الله، لتسوُّنّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم**»[4].

---

(١) متفق عليه.

(٢) حديث حسن صحيح، رواه أبو داود والترمذي، عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) متفق عليه، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

أي: في عدم المتابعة تحصل العداوة والبغضاء واختلاف القلوب والوجوه، ولهذا جاء مصرحاً بذلك بالرواية الأخرى: كان رسول الله ﷺ يسوِّي صفوفنا حتى كأنما يسوِّي بها القداح، حتى إذا رأى أنَّا قد عقلنا عنه، ثم خرج يوماً فقام حتى كاد أن يكبر، فرأى رجلاً بادياً صدره، فقال: «**عباد الله لتسوُّنَّ صفوفكم أو ليخالفنَّ الله بين وجوهكم**»[1].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتعاملون فيما بينهم وفي حياتهم اليومية على حسب المتابعة الجادة لأوامر رسول الله ﷺ، ويقيمون علاقاتهم وتعاملاتهم ومحبتهم بذلك بعيدين عن المداهنات والمجاملات والعصبيات، ولهذا جاء في حديث عبد الله بن مغفَّل رضي الله عنه: أن قريباً له خذف؛ فنهاه وقال: إنَّ رسول الله ﷺ نهى عن الخذف. وقال: «**إنها لا تصيد صيداً**» ثم عاد، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف؟ لا أكلمك أبداً[2]. فانظر كيف هجره لأنه لم يلتزم السُّنَّة ولم يتابع أمر النبي ﷺ في نهيه عن الخذف. وفي الحديث قال العلماء: فيه دليل على جواز هجر أهل البدع والفسوق ومنابذي السُّنَّة مع العلم، وأنه يجوز هجرهم أبداً. وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أشد التزاماً

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

واتباعاً لأمر رسول الله ﷺ حتى قالت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما». وقال الزبير بن بكار رحمه الله: كان ابن عمر يتحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ وإذا غاب يسأل من حضر عن قوله وفعله، وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلّى فيه، وكان يعترض براحلته في طريقٍ رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته فيه، وكان أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم يرون أن ليس أحد منهم على الحال الذي فارق عليه محمداً ﷺ إلا ابن عمر رضي الله عنهما.

فهكذا شأن الأتباع للنبي ﷺ ولهذا ربى رسول الله ﷺ أصحابه على حسن الاتّباع والطاعة لأوامره ونواهيه، حتى تخرّج منهم رجال وجيل متميز عن غيره من أجيال ورجال المسلمين، وبأنهم أصحاب سُنَّة واتّباع، وغيرهم صاروا أصحاب مخالفة وابتداع مع ادعائهم المتابعة والإلتزام.

وهكذا يجب على المسلم الصادق مع الله تعالى، اتّباع رسول الله ﷺ والنظر في حياته ومعايشة سنته والعمل على تطبيق ذلك على قدر المستطاع، والله تعالى يعين الصادقين المحبين لهدي وسُنَّة سيد المرسلين ﷺ.

ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين الأوائل ومن سار على نهجهم بطاعة رسوله ﷺ واتّباع أمره وحذرهم من التولّي عن ذلك فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢﴾ [المائدة: ٩٢].

بل إن الله تعالى أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين وأقرهم على المتابعة لرسول الله ﷺ والإيمان به ونصرته ومتابعته فقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

وحكم بالفسق على من خالف ذلك الميثاق وحاد عنه وتولَّى، فقال تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢﴾ [آل عمران: ٨٢].

بل إن الله تعالى حثَّ المؤمنين محركاً فيهم معالم التقوى على الإيمان والمتابعة لرسول الله ﷺ وضمن لهم الثواب الجزيل والنور المبين الذي من خلاله يهتدون، في أن غيرهم يتخبط في ظلمات الجهل والضلال فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

فتأمل ذلك رحمك الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

النسمات الندية من الشمائل المحمدية

قال محمد بن محمد الجزري رَحِمَهُ اللَّهُ:

أخلّاى إن شطّ الحبيب وربعُهُ وعزّ تلاقيه وناءت منازله
وفاتكم أن تبصروه بعينكم فما فاتكم بالعين فهذي شمائله
مكمّل الذات في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ وفي صفات فلا تحصى فضائله

وبعد: فإن الله تعالى أعطى النبي ﷺ كمال الأوصاف مع كمال الأخلاق مع كمال الإيمان والخشية، ومع كمال الفضائل والشمائل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] وقال عنه سبحانه في منطقه وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤]. وجاء قوله ﷺ معلّماً النفر الثلاثة حيث قال: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له...**»[1] الحديث. فهناك كثير من الشمائل المحمدية الشريفة نعيش مع بعضها من خلال النسمات الندية من الشمائل المحمدية.

(١) متفق عليه، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فصل

الشمائل الخَلقِيّة

والشمائل الخَلقية هي الصفات التي تبين صورة النبي ﷺ الظاهرة من لون وطول وشعر ولباس وغيرها، مما هي صفات خَلقية خلقه الله عليها كمالاً وفضلاً، والصفات الخلقية للنبي ﷺ شمائل شريفة نطلع عليها ونعيش من خلالها نستشعر وكأننا مع رسول الله ﷺ كما قال القائل:

إن فاتكم أن تروه بالعيون فما يفوتكم وصفه هذي شمائله

ولهذا حتى تبقى الأرواح والقلوب دائمة الشوق لرسول الله ﷺ، والعيش من خلال شمائله، ومن الشمائل الخَلقية للنبي ﷺ أنه: «كان أبيض، كأنما صيغ من فضة رجل الشعر»[1].

فهذه صفة خَلقية لرسول الله ﷺ أنه أبيض جميل المنظر مليح الوجه، بل إنه من جماله وحسن منظره ﷺ: «كان وجهه مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً»[2]، فكل جمال في الخلق

(١) حديث حسن، رواه الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

أعطاه الله للعباد فالنبي ﷺ أُعطى من ذلك الجمال أكمل جمال وأحسنه، ولهذا كان الأعرابي يناديه بقوله: «يا صبيح الوجه». وكذلك ممن وصف النبي ﷺ عليّ رضي الله عنه بقوله: «من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفةً أحبّه، لم أرَ قبله ولا بعده مثله ﷺ. وجاء عنه: كان ﷺ: «أبيض مَليحاً مُقَصَّداً»[1]؛ أي: وسطاً ليس بالنحيف ولا الجسيم ولا الطويل ولا القصير.

وصدق من قال:

كل حُسْنٍ في البرايا ... فهو منسوب إليك
مَلك الحبُّ فؤادي ... ففؤادي في يديك
إنَّ رب العرش والأمـ ... ـلاك قد صلّى عليك

فالنبي ﷺ أحسن الناس وجهاً ومنظراً وحسناً وبهاءاً، فكل حسن في الخليقة فهو على درجة الكمال في رسول الله ﷺ، ولهذا جعله الله تعالى خاتم النبيين بما أوتي من كمال الإيمان والإحسان والعلم والشجاعة والجمال والحسن والبهاء، فكانت العيون الطاهرة لا تمل من النظر إليه، ولهذا جاءت أمنية أبي بكر رضي الله عنه حينما قال: (يا رسول الله! أتمنى كثرة الجلوس بين يديك وإنفاق مالي عليك، ودوام النظر إليك). فانظر كيف أمنية الصدّيق رضي الله عنه؛ فلقد كان ﷺ بالجمال مميزاً عن غيره.

---

(١) رواه مسلم والترمذي، عن أبي الطفيل رضي الله عنه.

وكذلك جاء في وصفه ﷺ عن البراء رضي الله عنه قال: «كان أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير»[1]. فهذه صفات شريفة جليلة للنبي ﷺ تبين تميز النبي ﷺ بكمال الصفات وجلال الشمائل، فالمسلم الصادق مطالب كذلك بالتميز حتى في صفاته الظاهرة لتدل على أنه مسلم عابد خاضع لله متّبع لرسول الله ﷺ. ولذلك كان النبي ﷺ يربي أصحابه على التميز عن غيرهم ويحذرهم دائماً من التشبه بالكفرة أو باليهود والنصارى، سواء في ظاهرهم وصفاتهم أو في لباسهم وحياتهم فكان دائماً يقول لهم: «**خالفوا المشركين، أحفّوا الشوارب، وأوفِرُوا اللحىٰ**»[2] وكان يقول لهم أيضاً: «**خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلُّون في نعالهم ولا خفافهم**»[3] فانظر كيف حرص النبي ﷺ على أن يتميز المسلم الصادق حتى في مظهره وشكله، وحتى في عبادته وطريقة العبادة وكيفيتها، ولهذا كان النبي ﷺ من خلال شمائله الشريفة يعطينا مفهوم التمايز بكل شيء لكل من خالف منهج الله وحادّ الله ورسوله ﷺ. وكان

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) حديث صحيح، رواه أبو داود والحاكم والبيهقي، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

من تمايزه ﷺ أنه: «كان إذا اعتمّ سدل عمامته بين كتفيه»[1].

فانظر يا سالك الطريق كيف حتى في لباسه ﷺ له صفته الخاصة، وذلك ليبقى المسلم الصادق محافظاً على شخصيته ظاهراً وباطناً من الإنحراف أو الذوبان أو الخلخلة.

وكذلك في كيفية شعره ﷺ أيضاً يعطينا معنى التمايز فلقد: «كان شعره دون الجمة وفوق الوفرة»[2].

والجمة: الشعر النازل إلى المنكبين، والوفرة: ما بلغ شحمة الأذن، وذلك حتى يبقى المتابع للنبي ﷺ مقتدياً مهتدياً بالشمائل الشريفة حتى يكون من أهل السُّنَّة والاتباع.

والنبي ﷺ: «كان ضخم الهامة، عظيم اللحية»[3] وعظم وضخم الهامة؛ أي: ضخم الرأس كما جاء به مصرحاً في صفته الأخرى في حديث آخر: «كان ضخم الرأس»[4]. فالنبي ﷺ له لحية عظيمة حتى جاء أنها ترى من خلفه كبيرة وتملأ صدره، فالمتبع للنبي ﷺ يجد في هذه الصفات والشمائل الطاهرة واحة عظيمة للاتباع والالتزام

---

(١) حديث صحيح، رواه الترمذي، عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) حديث صحيح، رواه الترمذي، عن عائشة رضي الله عنها.
(٣) حديث حسن، رواه البيهقي، عن علي رضي الله عنه.
(٤) رواه البخاري، عن أنس رضي الله عنه.

دون النظر إلى فلسفات الأمور وتعقيدات العقول بل اتباع وتطبيق: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وأمر اللحية يتساهل فيه كثير من الناس ظناً منهم أن هذا الأمر مندوب وعلى حسب ما يهواه؛ بل النبي ﷺ لما رأى المجوسي حالق اللحية سأله ما حملك على هذا؟ فقال: إن ربي أمرني بهذا، فقال النبي ﷺ: «**إن الله أمرني أن أوفّر لحيتي وأحفي شاربي**»[1].

وجاء في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ كثير شعر اللحية».

بل إن عائشة رضي الله عنها تقول: سبحان من جمَّل الرجال باللحى. فانظر إلى هذا الوصف وهذه الميزة، كيف النبي ﷺ كان يوصف بها، وكذلك أصحابه رضي الله عنهم، وقد أمر النبي ﷺ بذلك حتى يصبح المسلم مميزاً بصفاته فقال: «**أعفوا اللحى وجزوا الشوارب وغيروا شيبكم ولا تشبهوا باليهود والنصارى**»[2] فانظر إلى التميز المطلوب من خلال الشمائل الشريفة، وكيف أن النبي ﷺ حريص أشد الحرص على أن يكون أَتباعه ومحبّوه على ما هو عليه وما هو متصف به، ولهذا امتدح بعضهم صاحب اللحية بقوله:

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة، عن يحيى بن كثير.

(٢) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يا صاحب الوجه المضيء بلحية	**ما بال وجهك بالسنا يتشعشع**
هي سُنَّة لا بل حرام حلقها	**عند الأئمة كلهم قد أجمعوا**
وهي الدليل على فؤاد صالح	**وعزيمة شمّاء لا تتراجع**
هي بيعة منا لدين محمد	**أنّا لغير كتابه لا نخضع**
فهو الهداية والضلال بغيره	**بمناهج وضعية لا تنفع**
هي مدفع طلقاته أشعارها	**تفري فؤاد الكفر لما تسطع**
هي قلعة تحمى الشباب بحصنها	**من انحراف في السلوك وتمنع**

فالنسمات الندية من الشمائل المحمدية من خلال الشمائل الخَلقية تعطينا في أرواحنا وقلوبنا شوقاً يحركنا إلى الاتباع والالتزام بهدي النبي ﷺ حتى نحشر في زمرته وتحت لواءه، فكما جاء في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه: «**فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**». والذي يبتعد عن سُنَّة الهادي البشير ﷺ فإنه ليس منه ولا يحشر معه، وهذا فيه تحذير لقلوب السالكين من الحرمان من مجاورة ومرافقة رسول الله ﷺ بسبب المخالفة لأوامره عليه الصلاة والسلام، ولهذا جاء فرح الأصحاب رضي الله عنهم حينما جاء الأعرابي وسأل النبيَّ ﷺ عن الرجل يحبُّ القوم ولمَّا يلحق بهم؟ فقال له النبي ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[1].

ولهذا كان حب النبي ﷺ واتباع أمره هي الصفة التي

---

(١) متفق عليه، عن أبي موسى وابن مسعود رضي الله عنهما.

تميّز بها الصحابة ﷺ، حتى قدمّوه على أنفسهم وأهليهم وأولادهم وآبائهم مسترشدين في ذلك بأمره ﷺ وتوجيهه لهم حينما قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[1].

فكانت معالم المحبّة والشوق لرسول الله ﷺ ظاهرة على جوارحهم بادية في أخلاقهم يعيشونها واقعاً عملياً في حياتهم وتعاملهم.

إن فاتكم أن تروه بالعيون فما يفوتكم وصفه هـذي شمائله

(١) متفق عليه، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه، عن أنس ﷺ.

فصل

الشمائل الخُلقية

الشمائل الشريفة الخُلقية واحة عظيمة يعيش من خلالها قلب المحب المتابع لرسول الله ﷺ حياة سعيدة جميلة يتقلب من خلالها في أخلاق النبوة الطاهرة، والله سبحانه وصف النبي ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]؛ فالأخلاق لها قيمتها في حياة الناس، ولقد كانت الأخلاق عنواناً واضحاً على الإنسان السويّ، وأنّ فاقد الأخلاق بعيد عن رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث: «**إن مِن أحبكم إليَّ، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**»[(١)]؛ بل جعل النبي ﷺ أحب الناس إليه صاحب الخلق الكريم الحسن فقال: «**إن من أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً**»[(٢)]، والنبي ﷺ صاحب الخلق العظيم كما وصفه الله ﷻ ـ في الآية المتقدمة ـ

(١) حديث حسن، رواه الترمذي، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

يعطينا من خلال شمائله الخُلقية الشريفة نسمات ندية نعيشها ونتذوق طعمها مقتدين مهتدين بأخلاق حبيبنا ﷺ، فلقد كان رسول الله ﷺ: «أحسن الناس خُلُقاً»[1].

ولهذا عاش الصحابة رضي الله عنهم يستقون من نبع الأخلاق النبوية مَعيناً طاهراً يجعلونه نوراً لحياتهم وهداية للسير على الطريق. ولقد عاش أصحاب النبي ﷺ مع الحبيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ وخالطوه عن قرب حتى وصفه أنس رضي الله عنه بقوله: «ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ».

ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قَطُّ: أفّ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟»[2]. فانظر يا سالك الطريق كيف تكون الأخلاق، وكيف معلّم الأخلاق ﷺ يعيش مع أصحابه رضي الله عنهم.

فالأخلاق لا تؤخذ إلا عن طريق النبي ﷺ صاحب الخلق العظيم الذي من نظر إلى غيره ضاع ومن أراد لأخلاقه سلوكاً من غير هديه ضلَّ وتاه، فالأخلاق الكريمة والشمائل الخُلقية الشريفة، إنما تؤخذ عن طريق القدوة والأسوة

---

(١) متفق عليه، عن أنس رضي الله عنه ورواه أبو داود.

(٢) متفق عليه.

الحسنة رسول الله ﷺ. ولهذا كان ﷺ يتمثل القرآن في أخلاقه، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ قالت: «كان خُلُقه القرآن»[1].

فالذي يعيش مع القرآن تدبراً وتلاوة يرى كيف كانت أخلاق النبي ﷺ ولِمَ كان خلقه القرآن؟ فهذه نسمة ندية من خلال شمائله الخلقية تعطينا مدلولاً واضحاً أنه ينبغي للمسلم الصادق المتبع لرسول الله ﷺ أن يكون مع القرآن، وأن تكون أخلاقه وصفاته مستمدة من القرآن ليرتبط القلب بدستور المؤمنين على مر العصور والأزمنة، وهو القرآن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. يهدي للتي هي أقوم في كل شيء يريده الإنسان.

ولقد كان رسول الله ﷺ صاحب الخلق العظيم تفيض أنوار أخلاقه تعاملاً وواقع حياة مع أصحابه من حوله فتأثروا بها، وبانت على جوارحهم وفي حياتهم، ولهذا كان ﷺ كما قال عنه الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً». وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**»[2].

---

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

(٢) متفق عليه، وأخرجه الترمذي والإمام أحمد.

والنسمات الندية التي نستفيدها من الشمائل المحمدية الخُلقية هو أن المسلم الذي يحمل دين الله تعالى ينبغي له أن يكون على مستوى رفيع من الأخلاق الحسنة في التعامل والمعايشة في الاحترام والآداب، وفي الوفاء وحفظ العهود في الكلمة والقول، ولهذا كان النبي ﷺ يبغض أخلاقاً كثيرة مخالفة للسلوك السوي، ومزعزعة لشخصية المسلم وصفاته فجاء عن عائشة رضي الله عنها قولها: «كان أبغض الخُلُق إليه الكذب»[1].

فانظر كيف يبغض النبي ﷺ هذا الخُلُق البغيض المنافي للسلوك المستقيم وهو الكذب، حتى أنه ﷺ جعل من صفات المتكلم بكل شيء أنه من الكاذبين فقال: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**»[2]؛ بل رتَّب النبي ﷺ الإثم على المتحدث بكل ما سمع حتى تنضبط النفوس وتُحْفَظ الألسن فقال: «**كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما يسمع**»[3]؛ فالمسلم الصادق ينبغي له أن يحذر هذه الصفة ويبغضها كما كان النبي ﷺ يبغضها، من خلال هذه الشمائل المحمدية الخُلقية، كأن المرء حينما يطلق للسانه العنان

---

(١) حديث صحيح، رواه البيهقي في الشعب.

(٢) رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح، رواه أبو داود والحاكم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولم يحفظه كأنه سبب في وقوعه في آفة وخلق الكذب المبغوض، ويكفي بهذه الآفة شراً أن النبي ﷺ جعل الكاذب عليه من أهل النار فقال: «**من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار**»[1].

ولهذا حثَّ النبي ﷺ المسلم على أن يقول خيراً أو ليصمت، كما جاء في الحديث المتفق عليه، وأخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي شريح وأبي هريرة رضي الله عنهما قوله: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت**»، وفي رواية في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

والنسمات الندية من خلال هذه الشمائل الخُلقية تعطينا كيف يكون المسلم مسلماً صادقاً بعيداً عن كل ما يوقعه فيما لا يرضي الله تعالى، وحتى يتجنب العقاب الأليم يوم القيامة، كما جاء في الحديث: «**إنّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبيّن فيها يزِّل بها إلى النار أبعدَ ما بين المشرق والمغرب**»[2].

ولهذا كان النبي ﷺ أبغض الخلق إليه الكذب، ولأنها

---

(١) متفق عليه، ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن أنس رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من صفات المنافق: «**وإذا حدّث كذب**»[1] بل أنه ﷺ: «كان إذا اطلّع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة»[2].

إن الشمائل المحمدية الخُلقية مجالها كبير وواسع، وإنما نقتطف بعضها لتكون لنا نوراً على الطريق نستقي من نبعها الصافي الأصيل، ونعيش نسماتها الطاهرة لتكون لنا يوم القيامة سبباً لمرافقة رسول الله ﷺ.

ومن النسمات الندية في الشمائل الخُلقية للنبي ﷺ ما جاء عن أبي سعيد رضي الله عنه قوله: «كان أشد حياءً من العذراء في خِدرها»[3]، فهذه نسمة من النسمات الندية في أخلاق رسول الله ﷺ وهو خلق الحياء، والحياء صفة تدل على نقاء الإنسان وطهارة باطنة وصلاح معدنه للتلقي وقبول الهداية، ولهذا بلغ الحبيب ﷺ أعلى درجات الحياء، حتى وصف بأنه أشد حياءً من العذراء في خِدرها. والحياء أمر لازم للمسلم وأمر مطلوب في صفاته؛ لأن فاقد الحياء يفقد كل شيء حتى جاء في الحديث: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع**

---

(١) متفق عليه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد والحاكم، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه.

ما شئت»[1] فالحياء يبعث على الخير والعمل به كما قال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[2]، والحياء من خلال وصف النبي ﷺ يدل على أنه من الإيمان وأن فاقد الإيمان يفقد معه الحياء، كما جاء في الحديث: «**الحياء والإيمان قُرِنا جميعاً، فإذا رُفِع أحدهما رفع الآخر**»[3].

وخُلق الحياء وصف عال في نفس الإنسان؛ بل إن النبي ﷺ جعله من شعب الإيمان فجاء في الحديث: «**والحياء شعبة من الإيمان**»[4].

وحينما يتمكن خُلق الحياء من الإنسان فإنه دليل على إيمانه ودليل على صلاحية قلبه لقبول الهداية والنور، ولهذا مرّ النبي ﷺ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»[5] وحديث: «**والحياء كلّه خير**»[6].

---

(١) رواه أحمد والبخاري وأبو داود وابن ماجه، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٣) حديث صحيح، رواه أبو نعيم والحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) متفق عليه، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) رواه مسلم، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما.

ولهذا جاء قوله ﷺ حاثّاً أصحابه على تمثل خلق الحياء لأنه يؤدي إلى الجنة فقال: «**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار**»[1].

وكان أصحاب النبي ﷺ يتسابقون إلى امتثال هذا الخلق الكريم، ولهذا كان عثمان رضي الله عنه أشد الصحابة حياء وأصدقهم في ذلك، فقال النبي ﷺ عنه: «**الحياء من الإيمان وأحيى أمتي عثمان**»[2].

بل جاء أيضاً قوله ﷺ في وصف أخلاق وصفات أصحابه: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»[3].

فانظر كيف وصف عثمان رضي الله عنه بأنه أصدقهم حياءً.

ومن النسمات الندية خلال الشمائل المحمدية الخُلقية

---

(١) حديث صحيح، رواه الترمذي والحاكم والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، رواه ابن عساكر، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح، رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي، عن أنس رضي الله عنه.

من خُلق الحياء ينبغي أن يرسخ في قلب السائر على الطريق صفة الحياء من الله تعالى، والتي هي كما قال العلماء: خُلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذى الحق، وإذا ما وقع الإنسان في القبائح دل على غياب الحياء من قلبه وصفاته، ولهذا قال الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ واصفاً الحياء: الحياء رؤية الآلاء ـ أي: النعم ـ ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء؛ فكل من رأى نعم الله عليه تتوالى ونظر إلى تقصيره في أداء الشكر لله حصل عنده حالة الحياء وصفة الحياء. ولهذا النبي ﷺ يحث القلوب على الإتصاف بصفة الحياء من الله تعالى فيقول: «**استحيوا من الله تعالى حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخره ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(١).

فمن النسمات الندية في شمائل وأخلاق الحبيب ﷺ ترى كيف ينمو الحياء في النفس وفي القلب، وكيف يكون صفة ملازمة للإنسان، بأن يحفظ تفكيره من كل شيء ومن كل شر، وأن يحفظ بطنه من كل حرام، وألا ينسى مصيره

---

(١) حديث حسن، رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والفناء، وأن يكون من أبناء الآخرة بترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك تحقق له الحياء.

فانظر يا طالب الحق وسالك الطريق، هذه النسمة الندية من الشمائل المحمدية في خُلق الحياء، وتدبرها.

إن الشمائل المحمدية الخُلقية نور يهتدي من خلالها السائرون على الطريق، لتتهذب أخلاقهم وتسمو نفوسهم ويكونوا كما أراد الله لهم، وكما أراد لهم النبي ﷺ هداة مهتدين، سائرين على الحق المبين لا يضرهم من خالفهم ولا من حاد عن طريقهم؛ لأنهم يلتمسون رضى الله، ويسيرون على طريق رسول الله ﷺ.

ولقد كانت النسمات الندية من الشمائل المحمدية نفحات هداية على قلوب المحبين لرسول الله ﷺ تعيش من خلالها أعذب وأحلى وأجمل سيرة وحياة، ولقد كان ﷺ مما وصفه الأصحاب رضي الله عنهم من الشمائل الخُلقية قول جابر بن سمرة رضي الله عنه: «كان طويل الصمت، قليل الضحك»[1].

هذه الصفة والخلق العظيم قلما تجد من يطبقه أو يعيشه، طول الصمت وقلة الضحك، وفي هذه النفحة الخُلقية لرسول الله ﷺ نسمات على قلوب السائرين؛ لأن طول الصمت يعطي العقل فرصة التفكير في آلاء الله، وفرصة

---

(١) حديث حسن، رواه أحمد.

التفكير في العاقبة والمصير، ولهذا جاء في الحديث: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**»[1].

والمقصود الصمت المعتبر شرعاً وهو إمساك اللسان عن الخوض في الباطل والكلام البذيء والفحش والسباب والغيبة والنميمة وغير ذلك من الكلام المذموم، وهو الذي نهى عنه ﷺ، وبيَّن صفة المسلم والمؤمن الحقيقية في ذلك فقال: «**ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء**»[2].

أما كلام الخير والإيمان والعلم والتعليم فهذا حث عليه الإسلام بقوله ﷺ: «**فليقل خيراً أو ليصمت**»[3]. فكلام الخير مطلوب إذا حقق نتائجه الإيجابية في النفوس والقلوب. ولهذا فإن طول الصمت هو الدافع على التفكر بعظمة الله والدافع على التفكير لأمر الله، وإعانة خلق الله وإفادتهم والقيام بحقوقهم، والصمت صفة طيبة تحفظ صاحبها من كثرة الوقوع في الخطأ وكثرة اللغو والغلط واللغط، وتحفظ صاحبها أيضاً

---

(١) متفق عليه، عن أنس رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد والبخاري في «الأدب» وابن حبان والحاكم، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

من الثرثرة الزائدة التي فيها حرمان من مجلس النبي ﷺ كما مر في الحديث: «**وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مِنِّي يوم القيامة الثرثارون**»[1].

والصمت فيه النجاة من كل مهلكة كما جاء في الحديث الشريف: «**من صمت نجا**»[2]. ولهذا كانت صفة الصمت تعطي صاحبها هيبة ووقاراً، وصفة الثرثرة تعطي صاحبها خفة وهواناً.

والنسمات الندية من خلال هذه الخلة المحمدية الجليلة تعطي للسائر على الطريق معنى جميلاً في الأسلوب الإيماني لتربية الشخصية واكتساب الهيبة والوقار، ولهذا كان حبيبنا ﷺ طويل الصمت.

وكذلك صفة كثرة الضحك، فقلب المؤمن ساكن وقور لا ينبغي له أن يكون مكثاراً للضحك مهذاراً للقول. ولهذا كانت قلة الضحك صفة وقار وإيمان، وحياة للقلب مع الله؛ لأن كثرة الضحك تميت القلب، كما جاء في وصية رسول الله ﷺ بقوله: «**لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[3].

---

(١) حديث حسن، رواه الترمذي، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد والترمذي، عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) حديث صحيح، رواه ابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فالنسمات الندية من الشمائل الخُلقية للنبي ﷺ من هذا الوصف الكريم تعطينا وضوحاً كيف ينبغي أن تتصف شخصية المسلم الحق الصادق بصفة الوقار والهيبة.

ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يكثرون الضحك، وكانوا يضحكون ولربما أخذوا بالكلام وضحكوا والنبي ﷺ معهم يسمع وكان يبتسم. ولهذا جاء أن النبي ﷺ من شمائله الخُلقية ما رواه جابر بن سمرة رضي الله عنه بقوله: «كان لا يضحك إلا تبسّماً»(١). وأصحاب النبي ﷺ مع ضحكهم ومزحهم إلا أنهم في مواطن الجدّ رجال، ولهذا لما سأل رجل بعض أصحاب النبي ﷺ قائلاً: أتمزحون؟ قالوا: نعم، ووقت الجد رجال.

فالنسمات الندية ترشدنا إلى الاهتداء والنظر والاقتداء بشمائل الحبيب النبي ﷺ لتكون للقلوب زاداً ونوراً على الطريق.

فتأمل معالم الصمت المطلوب، وعش قليلاً بقلة ضحك وقلة ثرثرة سترى نور الإيمان، ووقار وهيبة الشخصية تسري في جوانحك تهديك إلى أقوم طريق.

ولهذا كان النبي ﷺ لا يكثر الكلام إلا بذكر الله، أو توجيهاً لأصحابه، أو أمراً يأمرهم فيه، ولهذا كان كلامه

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد والترمذي والحاكم.

معدوداً يحصى، وهذه صفة وخُلق من أخلاق النبوة، فكما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه»[1].

والنسمات الندية من الشمائل المحمدية، تأخذنا إلى جانب آخر من جوانب الشمائل الخُلقية في رسول الله ﷺ ما جاء في وصفه ﷺ: «كان مما يقول للخادم: ألك حاجة؟»[2].

فانظر كيف خُلق التواضع عند رسول الله ﷺ مع الخادم، وكيف يسأله عن حاجته مع أن الأصل في الأمر أن الخادم هو الذي يسأل عن حاجة رسول الله ﷺ، ولكن الحبيب المصطفى ﷺ يعلمنا كيف التواضع وكيف الرحمة بين القلوب عن طريق سؤال الخادم عن حاجته.

إن كثيراً ممن بعدوا عن حياة رسول الله ﷺ لا يدركون عظمة هذه الأخلاق الكريمة؛ بل ويستغربون منها. ومنهم من يترفع عن ذلك، وكيف يطيب لنفسه أن يسأل عن حاجة خادمه؟ وهذا الصنف محروم من النسمات الندية في الشمائل المحمدية الخُلقية، ولهذا كان النبي ﷺ يحث الأمة على احترام الخدم وحسن معاملتهم والشفقة عليهم ورحمتهم، ولهذا جاء في الحديث: «**إخوانكم خولكم، جعلهم الله قُنْيَةً**

---

(١) متفق عليه، ورواه أبو داود.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد.

تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه ولا يكلّفه ما يغلبه، فإن كلّفه ما يغلبه فليُعِنْه»[١].

فهذه الأخلاق النبوية والسيرة المطهرة لرسول الله ﷺ ينبغي لمن يقتدي برسول الله ﷺ أن يعرفها ويطلع عليها؛ لكي يحياها واقعاً في نفسه وسيرته وحياته.

وتنقلنا النسمات الندية إلى شمائل خُلقية أخرى لرسول الله ﷺ حيث أنه كما جاء عن أنس رضي الله عنه قوله عن رسول الله ﷺ: «كان يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: **يا زوينب يا زوينب** مراراً»[٢]. وهذا فيه خُلق عال من أخلاق النبوة، وهو خُلق الرحمة بالصغار والرأفة بهم، ولهذا كان من شمائله وصفاته ﷺ أنه «كان أرحم الناس بالصبيان والعيال»[٣].

ولهذا وصَّى النبي ﷺ بملاطفة البنات الصغار والإحسان إليهن، وأنهن ستر من النار فجاء في الحديث: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهنَّ كن له ستراً من النار**»[٤].

---

(١) متفق عليه، ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه، عن أبي ذر رضي الله عنه.
(٢) حديث صحيح، أخرجه الضياء.
(٣) حديث صحيح، رواه ابن عساكر، عن أنس رضي الله عنه.
(٤) متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الترمذي.

ومن أخلاق النبي ﷺ في هذا الأمر أنه كان يُقبِّل الحسن والحسين رضي الله عنهما ويرحمهما ويحملهما، وجاء يوماً الحسن رضي الله عنه فقبَّله النبي ﷺ وعنده الأقرع بن حابس رضي الله عنه فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»(١).

ولهذا كانت هذه الشمائل الخلقية منارات هداية للسائرين يتعلمون من خلالها صفة الرحمة والرفق بالضعفاء والصبيان والصغار؛ بل كان من خُلقه ﷺ أنه إذا مر بالصبيان سلَّم عليهم شفقة وتعليماً، فكان أنس رضي الله عنه يفعل ذلك فجاء عنه رضي الله عنه أنه مر على صبيان، فسلَّم عليهم وقال: «كان رسول الله ﷺ يفعله»(٢).

وجاء في رواية البخاري «كان يمر بالصبيان فيسلِّم عليهم ﷺ»؛ فانظر كيف رحمة النبي ﷺ وخُلقه الكريم من خلال شمائله الشريفة، وانظر كيف أثرها في حياة الأصحاب رضي الله عنهم. وكان النبي ﷺ يوماً جالساً وقدم عليه ناس من الأعراب فقالوا: أتقبَّلون صبيانكم؟ فقال: «**نعم**». قالوا: لكنا والله ما نقبّل! فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَ أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة**»(٣).

---

(١) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، وأخرجه أبو داود والترمذي.

(٣) متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه أحمد.

فانظر رعاك الله، كيف أن النبي ﷺ جعل الذين لا يرحمون الصبيان ولا يقبِّلونهم منزوعة من قلوبهم الرحمة. وجاء من شمائله الخُلقية ﷺ في هذا المعنى عن أنس رضي الله عنه قوله: «كان رحيماً بالعيال»[1].

فانظر إلى هذه النسمات الندية من الشمائل المحمدية في أخلاق رسول الله ﷺ وكيف ينبغي للمسلم الصادق مع الله والمتابع لرسول الله ﷺ أن يكون على هذه الشمائل يعيش من خلال نسماتها أعذب وأجمل وأحلى حياة وسيرة لأطهر وأشرف مخلوق خلقه الله وسيد المرسلين وإمام المتقين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فنخلص من الشمائل الخُلقية إلى أن المسلم الذي يحمل أمانة العلم والدعوة والإيمان ينبغى له أن يكون على مستوى رفيع من الخُلق الحسن والتعامل الحسن مع خلق الله ليكون نوراً تهتدي به الأجيال، وليكون علامة حق يعرف السائرون من خلاله نسمات ونفحات هذا الدين؛ فالنسمات الندية من الشمائل المحمدية الخُلقية نور على نور، وبقدر حرص السائر على الطريق واتباعه يتحصل على هذه الأنوار وهذه النسمات الندية، فتأمل ذلك واحرص على حسن المتابعة رحمك الله تعالى.

مُكَمَّلُ الذاتِ في خَلق وفي خُلق وفي صفات فلا تحصى فضائله

---

(١) حديث صحيح، رواه الطيالسي.

فصل

الشمائل النفسية

وتنقلنا النسمات الندية من الشمائل المحمدية إلى شمائل عظيمة الفائدة جليلة المعنى، تلك هي الشمائل النفسية التي كان يعيشها النبي ﷺ أثناء حياته مع نفسه ومع من حوله من أمته وأصحابه رضي الله عنهم، والنواحى النفسية مهمة للسائرين على الطريق، والتي تعتبر زاداً للسائرين من خلاله تنطلق القلوب والأرواح لتشق طريقها عبر السير على طريق النور والهداية، إن النفسيات في طريق الله تعالى ما لم تكن على أمر وشرع الله تعالى، فإنها تشكل خطراً كبيراً على صاحبها قد تنحرف به عن الطريق الحق الواضح إلى طرق وسبل ملتوية متفرقة، ونفسية السائر على الطريق ينبغي أن تكون نفسية طاهرة قوية، صافية ندية، وطريق طهارتها وقوتها إنما هوالإيمان الصحيح والتعامل الواضح الصريح، والنفسية الطاهرة الصافية تجد معالم الهداية والتوفيق من الله تعالى، وتكون واحة كبيرة يتزود من خلالها السائرون على الطريق أعذب وأجمل وأحلى نسمات الإيمان ونفحات المودة والحنان. ولهذا كانت الشمائل النفسية المحمدية ذات معان

جليلة وفوائد عظيمة والتي من خلالها يتزود السائرون على الطريق أسلوب التربية الصحيحة للنفوس الطاهرة، وطريق تنقيتها وتهذيبها.

لقد كانت نفسية قدوتنا وحبيبنا ﷺ واضحة المعالم، جلية الدلائل، عظيمة المعاني، وصفها الله تعالى في القرآن ووضحتها سيرة النبي ﷺ الطاهرة النقية، وتناقلها من بعده أصحابه رضي الله عنهم معلمين ومرشدين غيرهم إليها. ولهذا كانت نفسية رسول الله ﷺ واحة عظيمة لأصحاب النفسيات الصادقة الصافية من خلالها يتعلمون، ومن خلالها يتزودون، ومن خلالها يتفهمون كيف ينبغي أن تكون نفسية أصحاب الدعوات.

ولهذا كان الحبيب ﷺ يحزن بل كان متواصل الأحزان، وهذه نفسية عجيبة لأن الحزن إذا فقد من القلب خرب، وإذا فُقِد من النفس اضطربت حتى أرشده الله تعالى رفقاً بحاله قائلاً: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧] فالحزن نفسية وزاد على الطريق، يعطي للقلب شفافية وللنفس صفاء وللروح طهارة، والحزن ما دام مرتبطاً بالله تعالى، ولأجل دين الله وهداية خلق الله فإنه يصير لصاحبه زاداً على الطريق، ونوراً يجد أثره في تعامله وإيماناً يجد حلاوته في قلبه.

والله سبحانه وتعالى ينهى نبيه ﷺ بألا تذهب نفسه حسرات على

حالة الأمة وإعراضها فقال له سبحانه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

فالشمائل النفسية للنبي ﷺ واضحة جلية من خلال كلمة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ فالتحسر صفة نفسية عند الإنسان على فوات مصلحة أو ذهاب عزيز، ولهذا كانت نفسية التحسر عند الحبيب ﷺ شرعية ربانية بسبب ضلال الناس وبعدهم عن منهج الله والخضوع لدينه وشرعه، ومنها نأخذ أن العبد الصادق مع الله لا ينبغى له أن يتحسر على زائل أو يتحسر على مصلحة تذهب وتعود، أو يتحسر على دنيا فانية؛ لأن التحسر نفسية إما أن تدفع الإنسان للأمام والعمل الجاد، وإما أن تقعده عن الجد والاجتهاد، ولهذا كان ينبغي للسائر على الطريق أن ينظر في هَمِّهِ وأن يجرده لله تعالى لتكون نفسية التحسر زاداً على الطريق. والنبي ﷺ من خلال شمائله النفسية يوضح لنا أنه لا بد من تربية النفسيات تربية واقعية عملية صحيحة لتكون صالحة ومهيأة لحمل الأمانة؛ لأن أمر الله وشرعه ولأن حمل الأمانة يحتاج إلى نفسية قوية نظيفة طاهرة؛ ولهذا كان قيام الليل الواحة الروحية والنفسية لرسول الله ﷺ الذي من خلاله حمل أمانة التبليغ والدعوة، وهذا كما جاء بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ١ ـ ٥].

فانظر كيف كان قيام الليل وترتيل القرآن وذكر الله تعالى هو الزاد الرباني والروحي لتقوية النفسية على طريق الله تعالى لحمل الأمانة. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ وتفكّر ما النفسيّة التي ينبغي أن توجد وكيف توجد لتكون أهلاً لحمل ذلك القول الثقيل والقول العظيم! ولقد كانت نفسية رسول الله ﷺ عجيبة غريبة حينما كان ينزل عليه الوحي، ولهذا جاء في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «كان إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربّد وجهه»[1]. فالنفسية الشريفة لرسول الله ﷺ تتأثر عند نزول الوحي؛ لأنه قول ثقيل وأمانة عظيمة، كلام رب العالمين لهداية الخلق أجمعين، فالتأثر النفسي والتربية النفسية القوية زاد على طريق حمل الأمانة.

ولهذا كان الأصحاب رضي الله عنهم يتأثرون نفسياً لما في ذلك من حركة نفسية مطلوبة للتأثر بأمر الله تعالى حتى تكون القلوب والأرواح مهيأة لحمل ذلك النور المبين، ولهذا جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قوله: «كان إذا أنزل عليه الوحي نكّس رأسه، ونكّس أصحابه رؤوسهم، فإذا أقلع عنه رفع رأسه»[2]. وجاء أيضاً أنه ﷺ: «كان إذا نزل عليه الوحي ثقل لذلك وتحدّر جبينه عرقاً كأنه جُمان، وإن كان في البرد»[3].

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) حديث صحيح، رواه الطبراني، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

فالنسمات الندية توضح من خلال هذه الشمائل النفسية المحمدية في مسألة الوحي ونزوله، كيف ينبغى أن تتأثر النفوس وتتحرك النفسيات للتأثر بعظمة كلام الله تعالى، والتأثر بحلاوة كلام الله تعالى ليبقى القلب حيّاً يقظاً، ولتبقى الأرواح طاهرة قوية تشتاق دائماً لمواطن المناجاة وحلاوة الأذكار في ميدان القيام والتلاوة. إن الشمائل النفسية تعطينا النسمات الندية الواضحة في بيان أهمية الجانب النفسي وتجريده وتطهيره على طريق الله تعالى، ولقد كانت الشمائل النفسية للنبي ﷺ هي الزاد العظيم الذي تربت وتتربى من خلاله النفوس والقلوب.

ولقد نشأ على طريق الله تعالى نفوس طاهرة وقلوب ونفسيات عجيبة كان للشمائل النفسية المحمدية الأثر الواضح فيها وفي إيجادها وتربيتها. ولهذا انطلقت القلوب والأرواح في طريق الله تعالى عاملة متحركة مضحية تبتغي الأجر والثواب العظيم من الله تعالى.

ولهذا كانت المطابقة الواضحة والاتفاق الصريح للنفسية ظاهراً وباطناً، فإن كان ﷺ حزيناً كانت معالم ودلائل الحزن العملية تظهر عليه، وإن تحسّر على ضلال الأمة وإعراضها كانت معالم التحسّر الواقعية بائنة واضحة في حياته وشخصيته، ولهذا كانت المطابقة النفسية مع الواقع الظاهري أمر يدل على صدق النفسيات، ويدل على صفاء

النفوس، فكل من ادعى شيئاً أو أمراً ما فلا بد وأن يكون لدعواه دليل ظاهري على ذلك. ولهذا جاء عنه ﷺ أنه: «كان إذا سُرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر»[1]؛ فانظر إلى نفسية السرور والفرح، كيف دلائلها الظاهرة في رسول الله ﷺ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، ولهذا كانت التعاملات الظاهرية دليلاً واضحاً على النفسيات الباطنية، فمن أظهر الخير وتعامل به كان دليلاً على نيته الصادقة الصافية، ومن أخفى نية وأظهر خلافها عملاً لا بد وأن يفضحه الله في تعامله، أو فلتات لسانه أو على صفحات وجهه. ولهذا وضع الفاروق رضي الله عنه منهجاً للتعامل وميزاناً عادلاً للحكم على الأحوال والمواقف، وذلك من خلال التعاملات الظاهرية التي تدل على النفسيات الباطنية، فقال رضي الله عنه: «إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقرَّبناه، وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً، لم نأمنه، ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة»[2].

فتأمل كيف وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهج التعامل

---

(١) متفق عليه، عن كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري.

على حسب الظاهر الواقعي الدال على الباطن النفسي، فمن أظهر الخير والبر والتعامل الحسن يُقرَّب ويُؤمن جانبه، ومن أظهر الشر والسوء في تعامله يُبعد ولا يُؤمن جانبه ولا يُصدّق قوله، وإن ادّعى الإحسان في ذلك، فالنفسية ما لم تكن متجردة متربية على منهج التقوى والمراقبة والخوف من الله وحده، فإن صاحبها سيقع في المذموم من الصفات، والتي هي من صفات أهل النفاق والمداهنة الذين يضمرون خلاف ما يظهرون، ولذلك جاءت الشمائل النفسية المحمدية متطابقة ومتلازمة ظاهراً وباطناً ليعلمنا ﷺ الصدق مع الله تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

والتربية الصادقة الطاهرة على الشمائل النفسية المحمدية، تحفظ صاحبها من التلون في التعامل وتحفظ شخصية السائر على الطريق من التلوّن والتعدد في الوجوه، ولهذا جاء ذم ذي الوجهين في الحديث: «**وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»[1]. فالنسمات الندية من الشمائل النفسية تعطينا مدلولاً واضحاً، في ضرورة تربية النفس على منهج الله تعالى تربية صادقة، حتى تنشأ النفسيات طاهرة نقية، وهي الصالحة والمهيأة

(١) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لحمل الأمانة، فتطابق النفسية في رسول الله ﷺ مع واقعه التعاملي، زاد لنا على طريق التربية النفسية الصحيحة حتى يرى الله منا صدق النوايا، وحتى تعظّم قلوبُنا نظر الرب سبحانه حينما ينظر إليها ويطلع على ما فيها، كما جاء في الحديث: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(١).

فيا سالك الطريق عظِّم الله تعالى بتعظيم نظره إلى قلبك بتجريد النوايا ومطابقة نفسيتك الباطنية وتعاملك الظاهري، تسلم من الاضطراب والنفاق، واعلم أن الله ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

وتنقلنا النسمات الندية إلى نفسية أخرى عند النبي ﷺ، وهي نفسية الغضب، ولقد كان النبي ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله تعالى، حتى نتعلم ونتربى كيف نغضب ولأجل أي شيء نغضب؛ إن النبي ﷺ لم يغضب لنفسه قط ولكن إذا انتهكت حرمات الله تعالى لا يقوم لغضبه شيء، وهذا فيه تربية نفسية للسائر على الطريق من خلالها يتعلم كيف ينبغي أن يكون غضبه مرتبطاً بالله تعالى وغيرة على حرمات الله جل وعلا.

وكذلك ينبغي أن تتطابق نفسية الغضب عند السالك

---

(١) رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

على الطريق ظاهراً وباطناً ولأنه ﷺ: «كان إذا غضب احمرت وَجْنَتَاه»[1].

والنسمة الندية تعطينا من خلال هذا مدلولاً واضحاً في بغض المعاصي وكراهية مقارفتها أو رؤيتها، وإنه ينبغي لسالك الطريق المتبع للحبيب ﷺ أن تتأثر نفسيته، وتنفر نفسه من المعصية والوقوع فيها، أو مشاهدتها والحديث عنها، وهذا من باب التأثر بالقبيح احتياطاً لحراسة القلب من الميل إليه والوقوع فيه، مع أن الواجب على المسلم الصادق مع الله أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي هو طريق عملي لتحقيق نفسية الغضب إذا انتهكت محارم الله ولهذا جاء عنه ﷺ: «كان إذا كره شيئاً رؤي ذلك في وجهه»[2].

والغضب لغير الله ولغير دين الله مفسدة للقلب، ومضيعة للنفس، وباب للشيطان الرجيم يستولي من خلاله على نفس الإنسان فيضعفها، ولهذا كانت وصية رسول الله ﷺ لرجل قال: أوصني. قال: «**لا تغضب**» فردد مراراً، قال: «**لا تغضب**»[3].

---

(١) حديث صحيح، رواه الطبراني، عن أم سلمة رضي الله عنها، وابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) حديث رواه الطبراني، عن أنس رضي الله عنه وهو صحيح.

(٣) رواه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولهذا بيَّن النبي ﷺ شخصية الرجل الشديد والرجل القوي حقيقة فقال: «**ليس الشديد بالصُرَعَة إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1].

فانظر كيف تعطينا الشمائل النفسية المحمدية، الطريق الواضح في تربية النفسيات العالية من خلال ترك الغضب المذموم للنفس أو على الغير، ولهذا ربى النبي ﷺ نفسيات أصحابه، من خلال المواقف النفسية التي تثير غضب المرء فتعلّم الصحابة رضي الله عنهم الحلم وضبط النفس وعدم الغضب لها، وهذا من خلال المعايشة لنفسية النبي ﷺ الذي جاء أعرابي يوماً فبال في المسجد: «فقام الناس إليه ليقعوا فيه»، فقال النبي ﷺ: «**دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء، أو ذَنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميّسرين ولم تبعثوا معسّرين**»[2].

فتأمل كيف أن هذا الموقف يثير الغضب في النفوس، وانظر وتأمل من خلال النسمات الندية للشمائل النفسية كيف يربّي ﷺ أصحابه، لتهدأ نفوسهم وليتعلموا كيف يتجاوزون الموقف من غير خسارة المخطئ والمسيئ، بل رجاء أن يهتدي المخطئ والمعرض، إلى الحق ويلتزمه، ولهذا لما جاء ملك الجبال للنبي ﷺ بعد رجوع النبي ﷺ من دعوة

---

(١) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أهل الطائف وما لاقاه منهم من إساءة وإهانة وإعراض قال له: «يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين» فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**»[1] فتأمل هذا الموقف.!!

وكان رسول الله ﷺ ماشياً في يوم ومعه أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جَبْذَة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جَبْذَتهِ، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتَفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء»[2].

فتأمل هذا الموقف النفساني العجيب كيف يربي فيه النبي ﷺ السائرين على الطريق، على ضبط النفس وكسب المواقف، وهداية المخطئ والضال وكسبه للطريق الصحيح، وكيف أن الغضب لا بد وأن يتجرد من الغضب للذات، أو الهوى والنفس والمصلحة الشخصية، بل ينبغي أن يكون

---

(١) متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) متفق عليه.

غضب الصادق مع الله خالصاً لوجه الله عند انتهاك حرمات الله تعالى. ولهذا جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: «... وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قطّ، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى»[1].

وهكذا نستفيد من خلال النسمات الندية من الشمائل المحمدية النفسية ضرورة تربية النفس، وضبط النفسيات وتهذيبها على شرع الله، وعلى الإيمان الصحيح والوعي الواضح، والصبر الجميل لتنال القلوب مغفرة الله ورضاه: **«وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم»**[2].

وتنقلنا النسمات الندية من الشمائل المحمدية النفسية، إلى حياة المعايشة الروحية والنفسية التي كان النبي ﷺ يتعامل بها مع أصحابه، فلقد كانت حياة الرسول ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، حياة إيمانية روحية نفسية من خلالها نشأت نفوس الصحابة رضي الله عنهم نفوساً طاهرة قوية صافية، ولهذا جاء عنه ﷺ أنه: «كان إذا لقيه الرجل من أصحابه مسحه، ودعا له»[3].

فانظر رعاك الله إلى هذه النفسية الشعورية في التعامل،

---

(١) متفق عليه.

(٢) النور (٢٢).

(٣) حديث صحيح، رواه النسائي، عن حذيفة رضي الله عنه.

كيف أثرها وكيف نتائجها على قلوب ونفسيات السائرين، إنَّ روح المحبّة الصادقة والتعامل الرقيق صفة ملازمة لنفسية رسول الله ﷺ، كان يتعامل بها مع أصحابه يمسح رؤوسهم ويدعو لهم، وهو يعلم ﷺ أن لهذا التعامل النفساني الرقيق أثر في نفسية السائرين، وأثر في مشاعرهم ووجدانهم، يدفعهم ويحركهم ويربطهم بطريق الله تعالى، ولهذا كانت مشاعر الأصحاب في التعامل بينهم لها الأثر الكبير، وهي السبب الحقيقي في اندفاعهم وعملهم بعد الإيمان الصحيح الذي رسخ في نفوسهم فكوّن نفسياتهم ومشاعرهم، ولهذا كان النبي ﷺ يحثهم دائماً أن يكونوا روحاً واحدة ـ وجسداً واحداً، من خلال وجدانهم ومشاعرهم النفسية التي تجول وتسرح فيهم، والتي تعبّر عن مشاعرهم وخواطرهم وقلوبهم، في واقع عملي صادق لم ير التاريخ مثله أبداً، فقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى**»[1]. قال العلماء إنَّ الحديث: يدل على تعظيم حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً، اهـ. وتأمل الصفات التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث، تجدها صفاتاً وجدانية شعورية نفسية ينبغي ألا

(١) متفق عليه، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وأخرجه الإمام أحمد.

يغفل عنها السائرون على الطريق، ولا تكون للسائرين زاداً إلا بعد تمكن معاني الإيمان الصحيح في القلوب.

إن النسمات الندية من خلال الشمائل النفسية في هذا الأمر توضح لنا كيف ينبغى أن يكون قلب المسلم على المسلم، وكيف يكون التعامل بينهم، وكيف ينبغي أن تكون المعايشة، حباً وصفاء، ورحمة ومودة، وعطفاً وحناناً، وهذه المشاعر النفسية الوجدانية يغفل عنها كثير من الناس، ويهملون التعامل بها، والنبي ﷺ يحذر في الحديث الذي رواه عنه جرير بن عبد الله رضي الله عنه قوله: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**»(١).

فانظر إلى هذه النفسيات والمشاعر، كيف يكون أثرها عند التعامل بين القلوب والأرواح، نفسية المودة والرحمة والعطف، وكلها تدل على شعور رقيق وإحساس مرهف يتولد في قلب العبد عن طريق الإيمان الصحيح وينبغي أن يكون وصفاً واقعياً للمسلم السائر على الطريق، ولأن هذه المشاعر والأحاسيس أثر عملي من آثار الإيمان حينما يرسخ صدقاً وإخلاصاً في القلوب، ولهذا جعل النبي ﷺ من صفات من تَحْرُم عليه النار، الليّن الهيّن السمح الرقيق، المتعامل بشعور الحب الصادق والعطف المتجرد الواضح مع غيره

(١) متفق عليه، وأخرجه الإمام أحمد.

من القلوب فجاء في الحديث: «**ألا أخبركم بمن تَحْرُم عليه النار غداً؟ على كلّ هيّنٍ ليّنٍ قريب سَهْل**»[1].

ولهذا عاش أصحاب رسول الله ﷺ هذه المعاني والمعالم واقعاً عملياً حياً في نفوسهم وتعاملهم في واقع حياتهم، فكانوا يتعاملون بالمحبة الصادقة، والرحمة الواضحة، والعطف المتجرد الحنون، ولهذا نشأت أمة متماسكة متحابة متعاطفة، يعين بعضهم بعضاً، ويرحم كبيرهم صغيرهم، ويحترم صغيرهم كبيرهم، ويود بعضهم بعضاً، ويصدق بعضهم بعضاً في التعامل أثناء المعايشة، ومنها نشأ الصف المسلم المطلوب لقيادة البشرية وهدايتها، وحينما تُفْقَد هذه المعاني والمشاعر من حياتنا فإنه يغيب معها كل معنى جميل من معاني الصفاء وصدق الإخاء.

فالنسمات الندية تتجول بنا من خلال الشمائل النفسية من حياة رسول الله ﷺ مع أصحابه والمعايشة النفسية الطاهرة وما لها من أثر عظيم في نفوس وقلوب السائرين، ولهذا النبي ﷺ كان يحرص دائماً على سلامة القلوب وطهارة النفوس، وتجريد التعامل حتى يكون واضحاً، ومترجماً عملياً لمعاني المحبة والمودة والعطف والرحمة، ولهذا كان يقول للناس: «**من مرّ في شيء من مساجدنا**

---

(١) حديث صحيح، رواه أبو يعلى، عن جابر رضي الله عنه.

أو أسواقنا ومعه نبْلٌ فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفِّه، أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء»[1].

فتأمل حرص النبي ﷺ على المسلمين ورحمتهم والشفقة عليهم، وكيف أنه ينبغي أن تكون معالم الرحمة والشفقة والعطف واقعاً عملياً. ولهذا جاء في الحديث التصريح الواضح بأنه لا يتم الإيمان الصحيح، ولا يكمل في القلب ولا ترى آثاره العملية، إلا بعد أن يتم في قلب المؤمن الحب الصريح الصحيح، في كل ما يرغبه لكل مؤمن ومسلم فجاء في حديث أنس رضي الله عنه، قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2].

فانظر كيف يحرص النبي ﷺ على تحقيق النفسية الصافية الصادقة الطاهرة والتي من خلالها يتحقق الإيمان الكامل الصحيح، وأن هذه النفسية الطاهرة في حبّ الخير والمباحات والطاعات للغير، كما يحبها المرء لنفسه من معالم الإيمان الصحيح المتكامل، وفيها ترغيب نفسي واضح في محبة المسلمين بعضهم بعضاً، وأن هذه المحبّة تؤدي إلى التعاضد

---

(١) متفق عليه، عن أبي موسى رضي الله عنه، وأخرجه الإمام أحمد. ورواه الترمذي والطبراني، عن ابن مسعود رضي الله عنه. لفظ الحديث من رياض الصالحين (٢٢١).

(٢) متفق عليه.

والتناصر والتآلف الحقيقي، والتي من خلالها ينتظم شمل الإيمان وتتأيَّد شرائعه ويَقْوَى صف المسلمين، فمن خلال النفسيات الصافية، ونفسية التعامل الرحيم، والتلاطف الرقيق، والمودة الواضحة والعطف والحنان، تتحد القلوب، وتتآلف الأرواح، وتتداخل وتمتزج النفوس، ويتحقق في حياة المسلمين الأمن النفسي، والضمان الشعوري الطاهر، والذي من خلاله يجد السائر على الطريق همة العمل وانطلاق القلب لإيجاد حياة إسلامية صافية نقية طاهرة، تعيش من خلالها القلوب سعادة، وتجد النفوس من معايشتها حلاوةً وصفاءاً.

فالنسمات الندية من الشمائل المحمدية النفسية من تدبرها صادقاً مخلصاً، عرف كيف تستقيم نفسيته وتطهر نفسه وتتجرد مداخل القلب، والله يفتح على الصادقين المتجردين معالم المعايشة النفسية الصافية، ليجدوا من خلالها الواحة الفسيحة والكبيرة لتفريج الهموم وتحريك الهمم، وإسعاد القلوب والأرواح، متأملين ومتدبرين ومرددين قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٩ ـ ١٠].

فصل

الشمائل القولية

ونعيش خلال النسمات الندية من الشمائل المحمدية بشمائل شريفة أخرى، هي الشمائل القولية، وهي ما قاله ﷺ في مواضع كثيرة ومناسبات متعددة وأحوال متنوعة؛ فقوله ﷺ، نسمة ندية لقلوب السائرين، وأحاديثه ﷺ القولية أكثر من أن تحصى ولنا معايشة قلبية مع الشمائل المحمدية القولية، نستمع إليها ونعزم ونعقد النية على اتباعها قدر المستطاع، وامتثال ما جاء فيها من نصائح وتوجيهات وإرشادات نبوية تربية لقلوب السائرين، وتحريكاً لنفوسهم، وتشجيعاً لأرواحهم حتى تتسابق في امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وفي هذا تحقيق عملي لمعنى المتابعة لرسول الله ﷺ: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[1].

والشمائل القولية للنبي ﷺ هداية للقلوب، وعلامات إيمانية للنفوس، ومنارات هداية للسائرين على الطريق. وحينما كان الأصحاب رضي الله عنهم يسمعون قول رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كانوا يخضعون ويلتزمون ويهتدون بما قال، بل ويتركون أقوالهم وآرائهم اهتداءاً والتزاماً بما قاله ﷺ؛ لأنهم فهموا معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. ولهذا نعيش النسمات الندية من خلال الشمائل المحمدية القولية. فقد جاء عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه: كان إذا خاف قوماً قال: «**اللَّهُمَّ إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم**»(١) ومن هذه النفحة النبوية نتعلم كيف يجب وينبغي للقلب الموحد لله تعالى أن يلجأ إليه دائماً في كل شيء في حالة أمنه أو خوفه، وفي هذا تربية للقلوب على أن المدبر والفاعل هو الله ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ٣٦] وفيه تربية للقلب على تحقيق الاستعانة بالله وحده لدفع الضر والبلاء والخوف عن قلب المؤمن ونفسه، ولهذا يلجأ ﷺ إلى الله بالدعاء على من خاف منهم، وأنه ﷺ يربينا ويعلمنا أن نلجأ إلى الله ونتوكل عليه، ونعتمد على الله حق الاعتماد بالدعاء لتفريج الحال السيئة إلى حال حسنة، ولهذا حتى يتحقق قول الله تعالى عملياً للمسلم الصادق، وهو يردد كل يوم قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]».

فهذه النسمة الندية من الشمائل المحمدية القولية توضح

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والحاكم.

للقلوب كيف يكون اعتمادها، وكيف يكون توكلها، وتتعلم كيف تجرد التوحيد وتخلصه من كل شرك وشائبة، محققةً قوله ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة**»[١]. وكان ﷺ يربّي أصحابه على التوحيد الخالص والعقيدة الصافية فعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال رجل للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت، قال: **أجعلتني لله نداً، قل: ما شاء الله وحده**»[٢] فانظر كيف يربي رسول الله ﷺ القلوب على تجريد التوحيد، وتنقيته من كل ما يضر به، وينقصه حتى في الألفاظ وكان يقول لأصحابه: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان**»[٣].

وهكذا ينبغى للقلوب أن تبدأ مسيرة التربية الصحيحة، عن طريق العقيدة الصحيحة المجردة من كل شائبة وغبش يضعفها.

والنسمات الندية من الشمائل المحمدية القولية، إنما نقف عندها بإشارات لطيفة، ووقفات خفيفة تحقق المقصود وتعطي المدلول وتوضح المراد، وتضيء للسالكين درب

---

(١) حديث صحيح، رواه البزار، عن أبي سعيد رضي الله عنه.
(٢) حديث صحيح، رواه أحمد وابن ماجه والبخاري في «الأدب».
(٣) رواه أبو داود وأحمد والنسائي، عن حذيفة رضي الله عنه وإسناده صحيح.

الهداية، كما أننا نوجز القول فيها مخافة الإطالة والسآمة، لأنها نسمات عابرة وكثير الكلام ينسي بعضه بعضاً.

ونعيش نسمة ندية أخرى من أقوال المصطفى ﷺ ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: عن النبي ﷺ: «كان إذا خرج من الغائط قال: «**غفرانك**»[1]».

وفي هذا تربية لقلوب وألسنة السائرين على الطريق؛ لأن المسلم الصادق لا بد وأن يكون دائم الذكر لله تعالى، وفي كل الأحوال، ولهذا كان ﷺ يكثر من ذكر الله تعالى، وجاء عنه ﷺ قوله: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»[2]. فانظر كيف يشوق النبي ﷺ الألسنة والقلوب لأن تكون مع الله دائماً ذكراً ومناجاة، وجعل النبي ﷺ المسلم الذي يذكر الله والذي يغفل عن ذكره مثل الحي والميت؛ فجاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قوله ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت**»[3]؛ لأن ذكر الله تعالى حياة للقلوب، وتحريك لشوق الأرواح، ويقظة في النفوس، والغفلة عن ذكر الله، موت للقلوب وتحطيم للشوق، وإماتة

---

(١) حديث حسن رواه الإمام أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم.

(٢) رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري.

للنفوس، ولهذا كان ﷺ إذا خرج من الغائط قال: «**غفرانك**» كما مر معنا؛ لأن الداخل في الغائط وهو مكان الخلاء ينقطع عن الذكر، حيث لا يجوز أن يذكر الله في مكان مذموم، وهذا الانقطاع كأنه حصول غفلة بسيطة، ولهذا يقول الخارج: «**غفرانك**»؛ أي: يطلب المغفرة بسبب انقطاعه عن الذكر، فانظر كيف يكون الغافل عن ذكر الله يحتاج إلى المغفرة وطلبها، فالله ﷻ يحب من يذكره، بل ﷻ يذكر من يذكره وعلى حسب حال الذاكر ولهذا جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم**»(١).

فتأمل حالك يا سالك الطريق حينما تكون مع الله ذاكراً، وانظر حالك حينما تغفل عن ذكر الله تعالى، وعليك بتجديد العهد والنية لتعيش مع الله ولترى نور الذكر على قلبك، وعلى جوارحك وعلى حياتك كلها، ويكفي أن يكون الله معك حينما تذكره، وإذا كان الله معك فماذا تكون النتيجة؟ فتأمل ذلك، وأذكر قول الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

---

(١) متفق عليه، وأخرجه الترمذي.

وتأمل الحبيب المصطفى ﷺ بقوله: «**سبق المفرّدون**» قالوا: وما المفرّدون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»[1] فتأمل ذلك رحمك الله تعالى.

ونسمة أخرى نعيشها، فقد جاء عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: عن النبي ﷺ: «كان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، تَوَكَّلتُ عَلى الله، اللَّهُمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ نَزِلّ، أو نَضِلّ، أَوْ نَظْلِم أو نُظْلَم، أوْ نَجْهَل أوْ يُجْهَل علينا**»[2]». وجاء أيضاً: كان إذا خرج من بيته قال: «**بسم الله، رَبِّ أعوذُ بك مِنْ أنْ أَزِلَّ، أو أَضِلَّ، أو أَظلِم أو أُظْلَم، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليّ**»[3]. وزاد ابن عساكر: «**أو أنْ أَبْغِي أَوْ يُبْغَىٰ علَيَّ**». والمشكاة (٢٤٤٢).

فتأمل رحمك الله هذه النسمات الندية من الشمائل المحمدية القولية كيف يبين النبي ﷺ أن المسلم معرض للزلل والضلال والظلم والجهالة والبغي، وتأمل كيف أن هذه الأمور مذمومة مبغوضة وأن على المسلم أن يجتنبها ويبتعد عنها، ولهذا كان ﷺ يستعيذ بالله خشية الوقوع فيها، فالزلة توقع المسلم في الخطأ والمكروه من الأمور، والجهالة

---

(١) رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، رواه الترمذي وابن السني.

(٣) حديث صحيح، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم.

سفهٌ في العقول ولا تقع إلا من حمقىٰ النفوس، الغافلين عن الله تعالى، والضلال فيه بُعْد وانحراف عن طريق الله، والظلم ظلمات يوم القيامة، وهو محرّم فعله والوقوع فيه، والبغي ظلم على خلق الله لا يحبّه الله ولا يرضاه، فتأمل كيف أنّ اجتناب هذه الأمور لا يكون إلا عن طريق الله تعالى والاستعاذة به سبحانه ودوام ذكره وسؤاله سبحانه الحفظ من الوقوع فيها.

ولهذا كان ﷺ يبدأ عند خروجه من البيت بقوله: «**بسم الله**» والاعتماد عليه سبحانه، وفي هذه النسمة الندية مدلول واضح في أن الإنسان في ذاته ضعيف مقصر، وهو دائماً بحاجة إلى الله تعالى، والاعتماد عليه وتفويض الأمر له، في أن يستعين القلب بالله تعالى ليوفّقه ويعينه على الأعمال الصالحة، وأن يجنّبه ويبعده عن الأعمال القبيحة المحرّمة، ولهذا قال: «**بسم الله توكلت على الله**..» فالإنسان لوحده ضعيف[1]، وإذا تُرك لنفسه فإنه أشد ضعفاً، ولهذا تأمل يا سالك الطريق كيف حاجتك إلى الله أن يعينك ويوفقك للأعمال الصالحة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣] فتأمل ذلك رحمك الله.

---

(١) لقد أفردنا بحثاً خاصاً ومفصلاً عن ضعف الإنسان واسمه «الدلالة والبيان على ضعف الإنسان».

وتنقلنا الشمائل المحمدية القولية إلى نسمة ندية أخرى يحدّث بها ابن عباس رضي الله عنهما بقوله عن رسول الله ﷺ أنه: «كان إذا دخل على مريض يعوده قال: **لا بأس طهور إن شاء الله**»[1].

فتأمل كيف يعلمنا النبي ﷺ ترطيب نفوس المرضى وتطييب قلوبهم بالدعاء لهم، وحثهم على الأمل بالله تعالى، وترسيخ اليقين في نفوسهم، بأن الشافي والمعافي هو الله وحده.

وانظر كيف يعلمنا النبي ﷺ الحرص على زيارة المرضى، وتفقد أحوالهم والدعاء لهم لما في ذلك من تأليف للقلوب، وتقريب للنفوس، وتذكر نعمة الصحة على الإنسان، ولهذا جاء في الحديث: «**نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ**»[2].

فعند عيادة المريض يتذكر الإنسان نعمة الصحة عليه، ليعمل ويستغل فرصتها قبل نزول المرض عليه فيمنعه من الأعمال الصالحة، وكذلك حينما يقوم المسلم بزيارة المريض، فإنه قد استغل فراغه بشيء يعود عليه بالنفع والأجر من الله تعالى. وفي عيادة المريض إيجاد للحياة

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري والترمذي وابن ماجه، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الإسلامية الاجتماعية التي غفل عنها الناس، ولهذا كان ﷺ يحث على زيارة المرضى، بل جعل من حقوق المسلم على المسلم ما جاء في الحديث: «**وعيادة المريض**»[1].

بل كان ﷺ يأمر أصحابه بذلك تأليفاً للقلوب وتحقيقاً لمعاني المحبة والمودة بين المسلمين فجاء عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض..»[2].

وكان يقول ﷺ: «**عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني**»[3].

والنبي ﷺ يعلمنا كيف نقول للمريض، وكيف ندعوا له لما في ذلك من تربية إيمانية لقلب العبد، في معاني الدعاء بأن يتيقن بأن الشفاء وذهاب البأس ليس إلا لله تعالى، وأنه سبحانه هو الشافي والمعافي، ولهذا قال أنس رضي الله عنه لثابت رحمه الله: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: «**اللَّهُمَّ رب الناس مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سقماً**»[4].

---

(١) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري، عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري.

فتأمل هذه النسمات الندية من الشمائل المحمدية، بشأن زيارة المرضى والدعاء لهم، ولعظمة هذا الأمر وفضله ومكانته، كان من مشاهد يوم القيامة سؤال الله تعالى للعبد المقصّر في عيادة وزيارة المرضى. فجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: «**يا ابن آدم مرضت فلم تعدني! قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟!**» قال: «**أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده**»[1].

فمن خلال النسمات الندية من الشمائل المحمدية القولية، تأمل بقلبك المتجرد لله تعالى هذا الأمر، وعظمة الموقف يوم القيامة، لتعقد العزم والنية على العمل الجاد لتحصيل الأجر والثواب.

وتنقلنا النسمات الندية من الشمائل المحمدية، إلى حال أخرى، ونسمات جديدة، من أقوال النبي ﷺ ما جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت عن النبي ﷺ أنه: «كان إذا رأى المطر قال: **اللَّهُمَّ صيباً نافعاً**»[2].

فهذه النسمة المحمدية تعطينا مفهوماً تربوياً واضحاً، في ضرورة العيش والتفكر في نعم الله تعالى، وإرجاع الفضل

---

(١) رواه مسلم من حديث طويل.

(٢) رواه البخاري.

فيها إلى الله، ولهذا كان ﷺ يسأل الله أن يجعل المطر صيباً نافعاً، فيه الخير وفيه البركة والنماء للأرض والفائدة للخلق، وتعطي مدلولاً آخر وهو التفكر في معالم الكون، والعيش مع الحياة الخارجية للكون، من النظر في السماء ونجومها، أو التأمل في الأرض وتخومها، أو الاعتبار والتفكر في الجبال وعظمها، أو النظر في المخلوقات الأخرى اعتباراً وتفكراً لتسمو النفوس، وتصفو القلوب، وتنطلق العقول بصفاء وطهارة لتخضع لعظمة الخالق سبحانه، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

وفي هذا ربط بين قلب العبد وآثار الكون ومعالمه، ليبقى القلب متدبراً متفكراً، حتى يصل إلى الصفاء المطلوب، ليكون مهيأً لنور الحق المبين ليتمكن فيه ويسكن، ولهذا جاء أيضاً عن طلحة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه: «كان إذا رأى الهلال قال: «**اللَّهُمَّ أهلّه علينا باليُمْن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله**»[1].

ومع ما فيه من تفكر وتدبر وربط للقلب بمشاهد الكون العظيمة، كذلك فيه تعليم وتربية للمسلم كيف يقول، وكيف

---

(١) حديث حسن، رواه أحمد والترمذي والحاكم.

يدعو حينما يشاهد هذه المظاهر الكونية الجميلة، ولهذا دعى الله تعالى القلوب للتفكر والتدبر، حتى تصل إلى حقيقة عظيمة، وهي أن خالق هذا الكون هو الله وحده». فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] فتأمل يا سالك الطريق كيف تتحصل على صفاء القلب، عن طريق التدبر والتفكر والارتباط بمشاهد الكون.

ولهذا دعانا الله تعالى للتدبر والتفكر، حتى يتحقق للقلب دوام اتصاله بالله مراقباً ومعتمداً ومحباً مشتاقاً، والآيات الداعية لهذا الأمر في كتاب الله ﷻ كثيرة متنوعة، فتدبرها وتفكر في معانيها يسعد قلبك وينشرح صدرك.

وننتقل إلى نسمة ندية من الشمائل القولية، لها مدلولها الواضح في تربية النفوس والقلوب، كذلك لتعظيم الله تعالى فجاء عن ثوبان رضي الله عنه قوله عنه ﷺ أنه: «**كان إذا راعه شيء قال: الله الله ربي، لا شريك له**»[1].

فتأمل كيف يربي النبي ﷺ القلوب على توحيد الله

(١) حديث صحيح، رواه النسائي.

وعدم الشرك به سبحانه، فإذا راعه شيء؛ أي: خوّفه قال: «**الله الله ربي لا شريك له**» فيلجأ بتوحيد الألوهية في تحقيقه واقعاً عملياً؛ لأن الخوف عبادة لا يجوز صرفه إلى المخلوق، بل يجب على قلب الموحد الصادق مع الله أن يجعل خوفه مرتبط بالله تعالى، ولهذا يتحقق معنى توحيد الألوهية عند العبد من خلال عبادة الخوف. وتوحيد الألوهية هو توحيد العبادة لله تعالى، والذي منه الخوف لأنه عبادة لا تصرف إلا لله وحده، ولهذا قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فانظر كيف يربي النبي ﷺ من خلال هذه النسمة الندية من قوله الشريف: «**الله الله ربي لا شريك له**» كيف يربي التوحيد الخالص والعقيدة الصافية في قلوب السائرين على الطريق، وقد مر معك بعض هذا المعنى قبل هذه النسمة شيئاً من هذا، وفي هذا زيادة تأكيد وفائدة، فكل شيء في حياة العبد يجب أن يرجع فيه إلى الله ﷻ وحده، ويحقق بذلك قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥**﴾ [الفاتحة: ٥].

ولهذا كان النبي ﷺ إذا غزا: قال «**اللَّهُمَّ أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل**»[(١)].

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والضياء، عن أنس رضي الله عنه.

فانظر وتأمل كيف التوكل والاعتماد، وانظر كيف تجريد التوحيد الخالص لله تعالى من خلال نسمات الدعاء النبوي، فالمعين هو الله والنصير هو الله، والذهاب والإياب بالله ﷻ وفي سبيله جلّ وعلا، والقتال يكون باستعانة القلب بالله وحده، وذلك حتى لا يتطرق لقلب المخلوق اعتماده على غير الله تعالى؛ لأن النصر بيد الله والتوفيق من الله، فلا يطلب من مخلوق ضعيف ولا يعتمد على مخلوق ضعيف، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]؛ لأن الله تعالى حي قيوم دائم لا يموت، وقد أمر الله نبيه ﷺ بتجريد التوكل والاعتماد فقال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] أما المخلوق فهو ضعيف ويموت ويفنى ويبيد، ولهذا لا ينبغي للقلب المتجرد أن يعلق قلبه بمخلوق لا يملك ضراً ولا نفعاً، بل يلجأ إلى الله مهتدياً بالنسمة الندية من الشمائل المحمدية بقوله: «**الله الله ربي لا شريك له**». من خلال ذلك يتحقق مفهوم التوحيد الخالص.

ولهذا كان ﷺ يعلمنا عند نزول الكرب والبلاء بأن تلجأ القلوب إلى الله لتستغيث به، وتطلب الرحمة منه سبحانه وحتى لا يلجأ قلب العبد لمخلوق ضعيف، فجاء عن أنس رضي الله عنه قوله عن النبي ﷺ: «كان إذا كربه أمر قال:

«**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**»[1]». ومن خلال هذه النسمة الندية يعلمنا الحبيب ﷺ أن الاستغاثة عبادة فلا تصرف للمخلوق، ولا يُستغاث بمخلوق لأن في ذلك ضعف في الإيمان ومعالم التوحيد، بل يستغيث بالله وحده يطلب عونه ونصره وتأييده وتوفيقه، ولهذا لما استغاثت القلوب متجردة بالله تعالى، أغاثها وأمدها بعونه وتأييده فقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

وجاء في رواية أخرى: «كان إذا نزل به همّ أو غمّ قال: «**يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث**»[2]. وفي هذا بيان أن الاستغاثة عبادة من صرفها لغير الله فقد أشرك، وخالف مفهوم التوحيد الخالص المجرد من كل شائبة وشرك».

فالنسمات الندية من الشمائل المحمدية القولية حينما نعيشها متجردين صادقين تعطينا همة قوية للاتباع لرسول الله ﷺ محققين أوامره، مجتنبين نواهيه حتى يصدق على العبد أنه متبع لرسول الله ﷺ.

ونسمة ندية من الشمائل المحمدية القولية أخرى ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لا يقوم من مجلسٍ إلا قال:

---

(١) حديث حسن، رواه الترمذي.

(٢) حديث حسن، رواه الحاكم، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

سبحانك اللَّهُمَّ ربي وبحمدك، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»، وقال: «**لا يقولهن أحد حيث يقوم من مجلسه إلا غفر له، ما كان منه في ذلك المجلس**»[1].

وهذه النفحة النبوية قلَّما نقولها ونطبقها في مجالسنا حينما نقوم منها، ونحن أحوج لهذا الدعاء بطلب المغفرة وتجديد التوبة؛ لأن مجالسنا يكثر فيها اللغو والثرثرة، وتطول الجلسات في كلام بعيد عن ذكر الله وعن الصلاة على النبي ﷺ وفي هذا خطر عظيم وتحذير كبير من النبي ﷺ كما جاء في الحديث: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة**»[2].

وفي هذه النسمة الندية تعطينا مدلولاً واضحاً كيف ينبغي للمسلم، أن يتخير المجالس التي فيها ذكر الله تعالى، وفيها ذكر للعلم وفيها تُحْفَظُ الحرمات، ويكثر فيها الصلاة على النبي ﷺ، لأن المجالس الفارغة المبطلة لا تزيد الإنسان إلا حسرةً ونقصاً، وفيها تحذير من عذاب الله له كما جاء في الحديث: «**ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى**

---

(١) حديث صحيح، رواه الحاكم.

(٢) حديث رواه أبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد صحيح، ورواه الحاكم وأحمد.

فيه ولم يصلّوا على نبّيهم فيه إلا كان عليهم تِرَةً، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[1].

ولهذا حثَّ النبي ﷺ على مجالس الذكر والطاعة والعلم والتي ينال العبد منها الفائدة والأجر والمغفرة في آخر المجلس عند قيامه منه، ولهذا جاء في الحديث: «**ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا ناداهم منادٍ من السماء قوموا مغفوراً لكم**»[2] بل جاء في رواية سهل بن حنظلة رضي الله عنه قوله ﷺ: «**ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم: قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم، وبُدّلت سيئاتكم حسنات**»[3].

وهذه المجالس الخيّرة الطيبة لها شأنها في السماء، ولها مزايا ينالها صاحبها المجالس بصدق وإخلاص، ولهذا جاء في الحديث: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[4].

---

(١) حديث صحيح، رواه الترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد والضياء، عن أنس رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح، رواه الطبراني والبيهقي والضياء.

(٤) رواه مسلم، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، وأخرجه الترمذي.

فانظر يا سالك الطريق إلى المجالس وأنواعها واختر من تجالس من أهلها، وانظر إلى مجالس الذكر والعلم وفضلها ومجالس الغفلة والجهل وخطرها، وقارن بينها واختر مجلسك وتحمل نتائجه يوم القيامة، وعليك بالصدق مع الله في نيتك يكن لك من الله عون وتوفيق.

فتأمل هذه النسمات الندية من الشمائل المحمدية القولية واعمل بها تنجو

فصل

الشمائل العملية

وننتقل من الشمائل القولية إلى النسمات الندية من الشمائل المحمدية العمليّة، والنواحي العملية هي المقصودة في نظر الإسلام، إن الأقوال لا بد أن تُتبع بالأعمال، ولهذا يقول الله تعالى مشنّعاً على المتناقضين بين أقوالهم وأفعالهم: ﴿...لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]. ولهذا لا بد من إتباع القول العمل والتطبيق، وهذا هو الدليل العملي على صدق الكلمة والقول، ولهذا جاءت الشمائل المحمدية العملية ترجمة واضحة واقعية لأحوال وحياة النبي ﷺ يرسمها واقع حياة طاهرة صادقة للسائرين على الطريق.

والمرء ما لم ينفّذ القول ويتبعه العمل والتطبيق فإن القول لا خير فيه ولا فائدة منه، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا خير في قول لا نفاذَ له»؛ فالأقوال تبقى كلاماً عائماً لا خير فيها ما لم تتحقق بواقع عملي يدل على صدق القائل وحسن نيته.

ولهذا أنشأ النبي ﷺ رجالاً يعملون وأوجد قلوباً جادة

عاملة بعيدين عن الزخرفة القولية والحلاوة الكلامية الخالية من الواقع والتطبيق، ولهذا تجده ﷺ يرسل الصحابة رضي الله عنهم إلى بلاد الله المعمورة لنشر الدين والدعوة وهداية الناس، ويرسل آخرين للجهاد والقتال في سبيل الله، وكان زادهم الروحي هو القرآن الذي ربّى نفوسهم وقلوبهم وجوارحهم تربيةً عمليةً لها أثرها في واقع الحياة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

والنواحي العملية التطبيقية في ميدان العمل والدعوة أو ميدان الجهاد أو ميادين العلم ونشره كلها مطلوبة ومهمة في حياة وشخصية السائرين على الطريق؛ لأنها تعتبر الدليل الواضح على صدق الكلمة التي قالها وسار عليها.

ولهذا النسمات الندية من الشمائل المحمدية تنقلنا إلى حياة أخرى، ونفحات جليلة من حياة رسول الله ﷺ وهي الحياة العملية التطبيقية التي تصيغ إيمان وشخصية؛ بل وتفكير المرء السائر على الطريق.

ولقد جاء عن النبي ﷺ ما يبين ذلك الأمر، ونقله أصحابه رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ تطبيقاً وتعليماً لغيرهم من الناس، فجاء عن عائشة رضي الله عنها فيما تصفه عن رسول الله ﷺ قالت: «كان أحبّ الدين إليه ما داوم عليه صاحبه»[1]. وفي رواية: «كان أحب العمل إليه ما دُووِمَ عليه وإن قَلّ»[2].

فانظر من خلال هذه النسمات الندية كيف العمل الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم، عمل متواصل ولو قل، ومن هذا نستفيد أن الأصل في الأعمال أن تكون على الشرع الواضح وليس المهم كثرتها، وإنما حسنها وموافقتها الشرع الحكيم ولهذا ربّ العزة يقول: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وإحسان الأعمال من الدين وهذا ما نستفيده من النسمة الندية في شمائل النبي ﷺ العملية حيث «كان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه». فانظر كيف اعتبر العمل المتواصل من الدين، ولهذا كان ينبغي على السائر على الطريق أن يخلص في الأعمال، لأن الأمر دين وفيه حساب وعقاب عند التقصير أو فقد الإخلاص، ولهذا قال

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه.

(٢) حديث صحيح، رواه الترمذي والنسائي، عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

معاذ ﷺ: «إنّ هذا الأمر دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم». ولهذا النبي ﷺ يربي النفوس في الاستمرارية على العمل وإن قل؛ لأن في الاستمرار معالم الثبات، ولهذا جاء قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. فالإنسان لا يملك الموت حتى يموت على الإسلام وإنما عمل متواصل واستمرارية واقعية حتى يكون ذلك عاملاً للثبات وسبباً للموت على الإسلام، ولهذا كان من هدي النبي ﷺ الاستمرارية في العمل وإن قل، فكان ﷺ يقوم الليل فإذا مرض أو نام صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة، فجاء عن عائشة ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصَّلاة من الليل من وجع أو غيره صلّى من النهار ثِنْتَيْ عشرة ركعة»[1]. وهذا فيه دليل عملي على الاستمرارية في العمل وعدم قطعه لأن قطع العمل معناه الضعف والخلل، وقد يسبب للإنسان حرماناً من الثواب ونيل حلاوة المناجاة فجاء في الحديث: «**يا عبدَ الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»[2]. وبيَّن النبي ﷺ أن من اعتاد على عمل خير وفضل من تلاوة أو صلاة، فعليه عند انقطاعه وتوقفه عنه بسبب المرض أو النوم فعليه أن يقرأه في وقت

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

آخر، وهذا فيه دليل على استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من خير من غير تفريط ولا انقطاع ولهذا قال ﷺ: «**من نام عن حِزْبِهِ من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنّما قرأه من الليل**»[1].

فتأمل هذه النسمات الندية من الشمائل العملية كيف تربِّي النفوس على أهمية المداومة على الأعمال والاستمرار عليها، دون ملل ولا انقطاع وتأمل كيف أن الاستمرارية على العمل، وإن قل سبب من أسباب الثبات والموت على الإسلام فتأمل ذلك رحمك الله.

ـ ونسمة أخرى يحدثنا عنها عبد الله بن بسر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه «كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول: **السلام عليكم، السلام عليكم**»[2].

هذا تعليم ودرس نبوي عملي في كيفية الاستئذان والزيارات وآدابها، فانظر كيف يعلمنا النبي ﷺ أسلوب طرق الأبواب وكيفية الكلام وما الذي يبدأ فيه، فطرق الباب وطريقة الوقوف لا بد من التأمل في ذلك، وهذا فيه معنى التمايز للمسلم الصادق حتى في وقوفه أمام الأبواب عند

---

(١) رواه مسلم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود.

الزيارة يقف بالأدب والاحترام وحفظ حرمة البيوت، لا يستقبل الباب من تلقاء وجهه حتى لا يكشف عورات البيوت، ولا تقع عينه على حرمات لا يجوز له الإطلاع عليها، وحتى يحفظ للناس أسرارهم، ولهذا جاء في الحديث: «**إنما جُعِلَ الإستئذان من أجل البصر**»[1]. فيقف يميناً أو شمالاً ويقول عبارة تدل على مدى اتباعه وتربيته الإسلامية، يقول شعار الإسلام والمسلمين عند اللقاء «**السلام عليكم، السلام عليكم**».

وهكذا حينما نتأمل هذه النسمة الندية من الشمائل المحمدية العملية في شأن الزيارة، وأسلوب الوقوف عند الأبواب، نتعلم أن المسلمين لا بد وأن تكون لهم حياتهم الخاصة بهم، التي يأخذونها من النبع الصافي الطاهر من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، وهذا فيه حثّ نبوي شريف على الزيارات واستمرارها تأليفاً للقلوب وتحقيقاً لمعنى الحياة الاجتماعية بين الناس.

ولهذا النبي ﷺ يعلمنا كيف الاستئذان، فحينما يطرق الإنسان باب غيره ويسألونه من بالباب؟ يذكر اسمه أو يطرح السلام والذي هو شعار الإسلام، ولهذا كره النبي ﷺ للمسلم أن يقول عندما يسأل من؟ أن يقول: أنا. بل يقول

---

(١) متفق عليه، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

فلان ويذكر اسمه، وهذا فيه تربية إيمانية حتى لا يذكر الإنسان نفسه تعظيماً، فيذكر اسمه وهذا فيه نوع تواضع وطمأنينة لصاحب البيت. ودليله ما جاء عن أنس ﷺ في حديثه المشهور في الإسراء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. ثم صعد إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة وسائرهن، ويقال في باب كل سماء: من هذا؟ فيقول: جبريل**»[1].

فهذه تربية عملية رآها رسول الله ﷺ في السماء مع جبريل عليه السلام، ومن حرص النبي ﷺ على أمته أن علَّمهم هذا الأدب السماوي العملي، وهذه التربية العملية واقعاً في حياتهم، ولهذا كان أصحابه ﷺ يطبقونها ويعملون بها فجاء عن أبي ذر ﷺ قال: «خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده فجعلت أمشي في ظلّ القمر، فالتفت فرآني فقال: «**من هذا؟**» فقلت: أبو ذر»[2].

فانظر كيف بادر الأصحاب للتطبيق العملي لما يرونه من آداب وأخلاق النبوة، وجاءت أم هانئ ﷺ إلى النبي ﷺ

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

وهو يغتسل وفاطمة تستره، فقال: «**من هذه؟**» فقلت: «أنا أم هانئ»[1].

والنبي ﷺ إنما أراد أن يتربى السائرون على هذه المعاني حتى لا يقعوا في مخالفتها، وفي هذا دليل كراهية النبي ﷺ للمخالفات العملية، ولهذا جاء عن جابر رضي الله عنه قوله: «أتيت النبي ﷺ فدققت الباب، فقال: «**من ذا؟**» فقلت: أنا، فقال: «**أنا أنا؟**» كأنه كرهها»[2].

وهكذا تعطينا النسمات الندية من الشمائل المحمدية العملية تربية واقعية لطريقة الاستئذان، وفضل الزيارات وأسلوب الحديث عند الباب، ومنها نستفيد أن حياة المسلم العملية متميّزة عن حياة غير المسلمين، أو عن حياة الضآلين المنحرفين عن المنهج القويم والصراط المستقيم، فالمسلم له شخصيته المميزة وله أسلوبه المميز، وله أخلاقه وآدابه التي تميّزه مما استقاه وتربى عليه، من خلال متابعته والتزامه شرع وهدى الله سبحانه وتعالى.

ولا زلنا نتجول في النسمات الندية من الشمائل المحمدية العملية، التي تترجم حياة رسول الله ﷺ ومعايشته مع أصحابه رضي الله عنهم فجاء عن حفصة رضي الله عنها قالت: «كان إذا أخذ

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن»[1]. فهذا فيه تعليم عملي آخر لآداب النوم حتى أيضاً يكون المسلم في حالة نومه مميزا عن غيره، إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن، أسلوب وطريقة للنوم يعلمنا إياها رسول الله ﷺ لما فيها من فائدة، ولما فيها من خير كبير يعود على المسلم المطبق لهذه السُّنَّة العملية؛ لأنها من هدي النبي ﷺ وكل ما جاء عن النبي ﷺ فيه فائدة وخير للمتابع والمطبق لذلك الهدي، ومنها يعلمنا النبي ﷺ رقدة القبر والتدبر لها والتفكر فيها، حتى يكون المسلم على استعداد دائم لتلك الرقدة التي لا ينفلت منها أحد من بني الإنسان. فهذه تربية عملية لآداب النوم وهي كثيرة في حياة النبي ﷺ، من طريقة النوم أو ما يقوله قبل نومه، وغير ذلك نمر عليها بإشارات لطيفة لتكون منهجاً عملياً لنا نحقّق فيها الاتّباع الصحيح للنبي ﷺ، ولهذا جاء عن عبّاد بن أخضر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه «كان إذا أخذ مضجعه قرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ حتى يختمها»[2].

فانظر إلى هذا الأسلوب العملي كيف النبي ﷺ يربي القلوب على تجريد التوحيد الخالص من الشرك وموالاة

---

(١) حديث صحيح، رواه الطبراني.

(٢) حديث حسن، رواه الطبراني.

الكافرين يجرده حتى قبل النوم، يعلن البراءة من موالاة أهل الكفر والشرك حتى إذا مات فتكون موتته ميتة إيمانية صافية، وقليل من الذين يدّعون الاتباع لرسول الله ﷺ من يطبقون هذه السُّنَّة العملية التربوية، فحينما تتأمل سورة «الكافرون» ترى فيها البراءة من عبادة أهل الكفر وشركهم ودينهم، وفيها إعلان الثبات الواضح على الدين الحق المجرد الخالص لله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦] فهذا أسلوب عملي تربوي آخر، وهو أدب من آداب النوم التي ينساها كثير من المسلمين في التطبيق والعمل.

والنبي ﷺ كذلك يعلمنا عملياً كيف نقول عند النوم، فجاء عن أبي الأزهر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه: «كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «**بسم الله وضعت جنبي اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي، وأخسأ شيطاني وفكّ رهاني، وثقّل ميزاني واجعلني في النّدِيِّ الأعلى**»[1]. فانظر في معاني الدعاء ترى كيف النبي ﷺ يربي القلوب على التعلق بالله تعالى، وطلب المغفرة للذنوب وتسكيت وساوس الشيطان، وفك رهانه وتثقيل ميزانه وأن يجعله في المراتب العلية، حينما ننظر لهذا الأدب العملي، نتعلم أن الإنسان في حياته قد ينسى ربه ذكراً وتعظيماً، فعند النوم يذكر الله ويبدأ نومه ببسم الله،

(١) حديث صحيح، رواه أبو داود والحاكم.

وكذلك الإنسان مقصّر مع الله ويقع دائماً في الذنوب طول يومه، فهو إذن بحاجة إلى محاسبة نفسه لما عمل في يومه، ويسأل الله مغفرة الذنب، وهو كذلك معرض للشيطان وحبائله، والشيطان يحضر معه حتى في نومه، يوسوس له ويشغله بالفكر الساقط ويؤذيه حتى يوقعه في المعصية، فهو يستعين بالله على أن يبعد عنه وساوس الشيطان، وهو مرهون بعمله لا يفكّه من شر أعماله إلا الله، ولهذا يطلب أن يفكّ رهانه ويثقّل ميزانه، وأن يجعله في المراتب العليا يوم الدين. وكذلك كان ﷺ كما جاء عن البراء وحذيفة وأبي ذر رضي الله عنهم قولهم: «كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: «**باسمك اللَّهُمَّ أحيا وباسمك أموت**» وإذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[1]. وهذه تربية أخرى على تذكر الموت، وأن النوم مثل الموت، والاستيقاظ مثل النشر من القبور بعد الموت فينشأ مسألة التفكر في قلب العبد، في الموت والنشور والإحياء يوم الدين». وكان ﷺ أيضاً: «إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: «**اللَّهُمَّ قِنِي عذابَك يوم تبعث عبادك**»[2] (ثلاث مرات). وفيه إقرار

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والأربعة.

(٢) حديث صحيح، رواه أبو داود، عن حفصة رضي الله عنها.

بالعذاب يوم الدين، وإقرار بعقيدة البعث بعد الموت، فيتذكر الإنسان مرارة العذاب وهول الموقف عند البعث والنشور، فهو لذلك يلجأ إلى الله يطلب منه أن يقيه العذاب في ذلك اليوم العصيب والموقف الرهيب، فالنسمات الندية من الشمائل العملية توضح لنا آداب النوم، وكيف كان ﷺ يحرص على تميّز أمته في شخصيتها من خلال هذه الشمائل الشريفة فتأمل وتدبّر واعمل.

وننتقل إلى نسمة أخرى من الشمائل العملية الشريفة للنبي ﷺ فقد جاء عنه ﷺ أنه: «كان إذا بايعه الناس يلقنهم: فيما استطعت»[1].

وفي هذا مدلول عظيم على أن الدين يسر، وأن أوامر الله تعالى مرفوع فيها الحرج عن الناس، من رحمة الله تعالى على الأمة كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. ولهذا كان النبي ﷺ يترك أعمالاً خشية وقوع الناس في حرج، وربما لا يستطيعون تطبيقها وتنفيذها، وكان يخشى أن تفرض عليهم؛ ولهذا جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحبّ أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم»[2]. فانظر كيف حرص النبي ﷺ على أمته

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد، عن أنس رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه.

بألّا يقعوا في الحرج حتى كان يبايعهم ويقول لهم: «**فيما استطعت**». ولهذا جاء في الحديث: «**فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[1]. فالحرج في أوامر الله تعالى مرفوع عن هذه الأمة، ولهذا حذر النبي ﷺ من التشدد والتنطع في الدين، وقال: «**مَهْ عليكم بما تطيقون**»[2].

والله ﷻ أراد اليسر بالأوامر الشرعية على عباده فقال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ولهذا نهى النبي ﷺ عن التشدد في الدين وبيَّن بأن الدين يسر فقال: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلُّجة**»[3] وفي رواية للبخاري أيضاً: «**سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، القصد القصد تبلغوا**». والعلماء يقولون في معنى الحديث؛ أي: استعينوا على طاعة الله ﷻ بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصل المقصود بغير تعب.

---

(١) متفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه النسائي.

ولهذا حذَّر النبي ﷺ المتشددين من الهلكة، فقال: «**هلك المتنطعون**»[1] قالها ثلاثاً. والمتنطعون هم المتشددون في غير موضع التشديد. بل إنّ النبي ﷺ بيَّن في أن المتشددين ليسوا على الطريق الصحيح وليسوا على السُّنَّة الواضحة، فلما جاءه النفر الثلاثة وهم الذين عزموا على التشدد في الدين سألهم: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟؟ أمَا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**»[2].

فالنبي ﷺ لا يريد لأمته الحرج والوقوع فيه، بل كان يوصي من يرسل إلى الدعوة ونشر العلم يدعوهم للتيسير على الناس، وحثهم وتشجيعهم وعدم التعسير عليهم وإيقاعهم في الحرج، لأنه يُنفّر الناس عن الدين والبعد عن العلم فجاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه أنه ﷺ: «كان إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»[3]».

فأوامر الدين قائمة على رفع الحرج عن الناس،

---

(١) رواه مسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه، عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه النسائي.

(٣) حديث صحيح، رواه أبو داود.

وإيقاعهم في التعسير، والحرج، خطر كبير في تنفيرهم عن أوامر الله، ولهذا غضب النبي ﷺ لهذا الأمر حينما جاءه رجل فقال له: «**إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا!**» يقول أبو مسعود البدري رضي الله عنه: فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قطّ أشد مما غضب يومئذٍ فقال: «**يا أيها الناس: إن منكم منفّرين. فأيكم أمَّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة**»[1]. ولهذا كانت صلاة رسول الله ﷺ متوسطة بين الطول والقصر وكذا خطبته، فجاء في الحديث عن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: «كنت أصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً»[2]. وقوله: قصداً؛ أي: بين الطول والقصر.

فالنسمات الندية من الشمائل المحمدية العملية تعطينا مدلولاً واضحاً عن جمال هذا الدين، وعظمته وسر تأثيره في النفوس من ناحية التيسير ورفع الحرج، وهكذا ينبغي للمسلم الصادق مع الله أن يتقي الله في نفسه، وفي خلق الله وأن يتجنب التنطع في الدين ويجنب عباد الله تعالى الوقوع في الحرج، وتأمل معي يا سالك الطريق بفطرتك النقية ما قاله

---

(١) متفق عليه، عن أبي مسعود بن عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم.

الحبيب ﷺ: «**إنّ أعظم المسلمين في المسلمين جُرْماً من سأل عن شيء لم يحرّم على المسلمين فحرّم عليهم من أجل مسألته**»[1]. فتأمل ذلك واحرص على نفسك وعلى غيرك.

والنسمات الندية من الشمائل المحمدية العملية، نور على الطريق، تضيء الطريق للسالكين ليتعلموا ويهتدوا ويعزموا على التربية الصحيحة في الاهتداء والاتباع لهدي النبي ﷺ، وتنقلنا هذه النسمات الندية إلى شمائل عملية أخرى لها مدلولها الواقعي في عالم المشاعر الصادقة، وأثرها النفسي في التعامل بين القلوب، لقد جاء عنه ﷺ ما قالته عائشة رضي الله عنها أنه «كان إذا ذبح الشاة يقول: **أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**»[2].

وهذه النسمة العملية والنفحة النبوية تعطينا مفهوم الوفاء العملي في التعامل والمعايشة أثناء الحياة وبعد الممات، ولهذا كان الوفاء شرطاً لازماً لمعاني الإيمان والتعامل في الإسلام، وفي كل الأحوال ولهذا انبنى أمر الله ووعده على الوفاء لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]؟ وكذلك في العقود والعهود لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. والوفاء

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود، عن سعد رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم.

صفة إيمانية عملية تُكسب صاحبها مروءة وصدقاً، ولهذا قالوا قديماً: الغدر ترك الوفاء. فالوفاء أمر مطلوب في حياة القلوب، ونقصه يدل على ضعف في الإيمان وضعف في المروءة ولهذا كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه رضي الله عنهم الوفاء العملي، فكان إذا ذبح شاةً أمر بإرسال لحمها إلى أصدقاء خديجة رضي الله عنها تحقيقاً للوفاء العملي لخديجة رضي الله عنها أم المؤمنين والمواسية الأولى لرسول الله ﷺ بنفسها ومالها في المراحل الأولى من الدعوة الإسلامية.

ولهذا كانت هذه المعالم عند الأصحاب واضحة الدلائل يتعاملون بها ويعيشونها، والوفاء العملي شرط لازم عند المعايشة للقلوب، وإلا فإن حياة القلوب من غير زاد الوفاء تصير فوضى ومضطربَةَ، والقلوب التي تفقد الوفاء العملي تضطرب عندها أيضاً شخصية السائرين، ولهذا كان تحقيق الوفاء العملي حصن قوي في المحافظة على حياة القلوب، فننظر كيف كان النبي ﷺ يربّي القلوب على تحقيق هذا المعنى الرفيع المستوى في التعامل والمعايشة بين القلوب والأرواح.

والوفاء عرف قيمته وأثره وفائدته أصحاب القلوب الحية، فقاموا به وتعاملوا به واقعاً عملياً لعلمهم أنه دليل واضح على مروءة النفس وكرم الإنسان.

إن الشعور الحي اليقظ لا بد وأن يفهم حقيقة الوفاء

القلبي لمن يعايشه، فآلام الطريق كثيرة، وعقبات الطريق متعددة، وما أكثر المزالق التي تعترض قلوب الصادقين، فما أحوجنا لمراجعة مواطن الوفاء، ومنازل المودة في سويداء القلوب الصادقة، إن أسرار الحياة القلبية المتحابة هي من قدر الله على عباده لا تتضح إلا لِمَن ذاق طعمها صدقاً وإخلاصاً، ولا تتبين إلا لمن عاشها متجرّداً، وأحاطها مع تجرّده بوفاء ثابت لا يزول ولا يتلون مع الأيام وتقلبات صروف الزمان.

والوفاء العملي دليل على الوعي الشعوري عند الإنسان، والوعي الشعوري إحساس مرهف رقيق يستحكم في سويداء القلب يجعله قلباً حياً طاهراً، يعرف معاني الوفاء ويقدّر ويحترم مواطن الإخاء والصفاء.

ولهذا قام أصحاب النبي ﷺ لتحقيق الوفاء العملي حبّاً وشوقاً لرسول الله ﷺ الذي علَّمهم هذا المعنى الجليل. فكان مما جاء أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قاما بزيارة أمّ أيمن رضي الله عنها تحقيقاً للوفاء العملي لرسول الله ﷺ لأنه كان يزورها. فجاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله يزورها، فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك أما تعلمين أنّ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ؟ فقالت: «إني لا أبكي أنّي لا أعلم أن ما عند الله خير

لرسول الله ﷺ ولكِنْ أَبْكي أَنَّ الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها»[1].

فانظر إلى هذا الموقف الذي فيه تعبير شعوري غريب، من تحقيق الوفاء العملي والوعي الشعوري لتذكر ما كان يفعله رسول الله ﷺ وتطبيق ذلك، إن هذا يدل على الوفاء العملي الصادق، فأمّ أيمن رضي الله عنها هي حاضنة الرسول ﷺ وخادمته في طفولته، وأعتقها النبي ﷺ حين كبر وزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان ﷺ يكرمها ويبرها، وهكذا كان أصحاب النبي ﷺ يقومون عملياً بتطبيق معاني ومعالم الوفاء، ولأنهم تعلموا ذلك من رسول الله ﷺ، ومما كان يفعله النبي ﷺ تعليماً لهم للوفاء العملي أنه «كان ﷺ يزور قباء راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين»[2].

فصار ابن عمر رضي الله عنهما يفعله بعد ذلك فجاء في رواية أخرى في «الصحيح»: كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً وكان ابن عمر يفعله.

فهذه المعاني الجليلة كان الأصحاب يفعلونها اقتداءاً بالنبي ﷺ ولهذا كان يتعهد أصحاب خديجة رضي الله عنها، بإرسال اللحم لهم وفاءاً لأيام خديجة رضي الله عنها.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وخديجة رضي الله عنها هي أم المؤمنين ومن فضلها أن النبي ﷺ قال: «**أمرت أن أبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصبٍ، لا صخب فيه ولا نصب**»[1].

وبلغ من الوفاء العملي عند الصدّيق رضي الله عنه ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما. عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفاً عليه[2]: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»[3] ومعناه: راعوه واحترموه وأكرموه.

وهذا من باب الوفاء العملي عند الصديق رضي الله عنه. ولهذا كان الوفاء العملي دليلاً على المروءة والوعي الشعوري وحينما تتعامل القلوب بهذا المعنى الفاضل الكريم فإن النفوس تتقارب والقلوب تتحد والأرواح تتآلف، وما أجمل الوفاء العملي حينما يكون واقعاً عملياً فيكون سبباً في إزالة الجفاء والهجر بين القلوب.

ولهذا جاء عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد وابن حبان والحاكم، عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما.

(٢) الحديث الموقوف: هو ما نسب أو أسند إلى صحابي أو جمع من الصحابة سواء كان هذا المنسوب إليهم قولاً أو فعلاً أو تقريراً، متصلاً كان أو منفصلاً.

(٣) رواه البخاري.

عمر ﷺ أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلّم عليه عبد الله بن عمر ﷺ وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنّهم الأعراب وهم يرضون باليسير، فقال عبد الله بن عمر ﷺ: إنّ أبا هذا كان وُدّاً لعمر بن الخطاب ﷺ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ أبرّ البرّ صلة الرجل أهل ودّ أبيه**». وفي رواية: «**إنّ من أبرّ البرّ أن يصل الرّجلُ أهلَ ودّ أبيه بعد أن يولّي**». وإن أباه كان صديقاً لعمر ﷺ[1] ومعنى: بعد أن يولي؛ أي: بعد أن يموت.

فانظر إلى هذا الموقف من مواقف الوفاء العملي الصادق كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يحققونه ويتعاملون به؛ لأنهم يدركون تماماً أن معالم الوفاء العملي طريق لتآلف النفوس، واتحاد القلوب وتداخل الأرواح، ولأنّ الوفاء العملي يذهب غيظ القلوب ويشفي الصدور.

ولهذا كانت عائشة ﷺ تقول: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ﷺ وما رأيتها قط، ولكن كان يكثر ذكرها. وربما ذبح الشاة، ثم يقطّعها أعضاءاً ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة، فيقول: «**إنّها كانت وكانت، وكان لي**

---

(١) رواه مسلم.

منها ولد»[1]. ومعنى كانت وكانت؛ أي: يثني عليها بأفعالها، وفي رواية: «وإن كان ليذبح الشاء فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن»[2] وفي رواية قالت: استأذنت هالة بنت خويلد. أخت خديجة، على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: «**اللَّهُمَّ هالة بنت خويلد**»[3] ومعنى: «فعرف استئذان خديجة»؛ أي: تذكرّ خديجة لأن نغمتها تشبه نغمة خديجة رضي الله عنها ومعنى فارتاح لذلك؛ أي: هش لمجيئها وسرّ به لتذكره بها خديجة وأيامها معه ﷺ، فانظر كيف أهمية الوفاء العملي وآثاره على النفس والقلب إنه يحيى مواطن التذكر ويسعد القلوب، ثم هو يعطي مفهوم الوعي الشعوري عند الإنسان، وفيه أيضاً اكتساب صفات المروءة والنخوة، وعدم نسيان الأيام والليالي التي للإنسان فيها لحظات ونسمات، ما أحوجنا إلى الوفاء العملي لإعادة بناء النفوس وتربية القلوب وتهذيب التعامل، ولهذا كان جرير رضي الله عنه يعمل عملاً محققاً فيه الوفاء العملي لمن سبقه وهذا قمة في الأدب والحبّ والوفاء، فجاء عن أنس رضي الله عنه قال: «خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه في سفره، فكان يخدمني فقلت

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

له: لا تفعل، فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئاً آليت على نفسي أن لا أصحب أحداً منهم إلا خدمته»[1]. فانظر إلى هذا الموقف الأخوي الذي يدل على معاني ومعالم الوفاء العملي وتأمّله وتدبّره عسى الله أن يجعلنا وإيّاك ممن يعملون ويحققّون ذلك واقعاً عملياً.

وننتقل في نهاية المطاف إلى نسمة ندية أخرى من النفحات والشمائل المحمدية العملية، ما جاء فيه عن رسول الله ﷺ ما قاله عنه أبو بكرة رضي الله عنه أنه ﷺ: «كان إذا جاءه أمر يُسَرُّ به خرّ ساجداً شكراً لله تعالى»[2].

فتأمل هذه النفحة الربانية العملية كيف يعلمنا النبي ﷺ أن نشكر الله على ما أعطى ووهب، خاضعين لله تعالى شاكرين نعم الله علينا، فلقد كان ﷺ إذا جاءه أمر يسرّه خرّ ساجداً.

والسجود يعطي معنى الذلة والخضوع والإنكسار، وهي معان جليلة لا يجوز فعلها إلا لله تعالى فلا يذلّ المرء ولا يخضع ولا ينكسر ولا يسجد إلا لله تعالى. والسجود فيه معنى الافتقار لله ﷻ، ولهذا جاء قوله ﷺ: «**عليك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة**

---

(١) متفق عليه.

(٢) حديث حسن، رواه أبو داود وابن ماجه.

وحط عنك بها خطيئة»[1]. وفيه أيضاً رفعة للعبد ومغفرة للذنوب.

والسجود طريقة لمرافقة النبي ﷺ في الجنة فجاء عن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله ﷺ ومن أهل الصفة رضي الله عنه قال: «كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته فقال: «**سَلْني**»؟ فقلت: أسألك مرافقتك في الجنّة. فقال: «**أو غَيْرَ ذلك؟**» قلت: هو ذاك. قال: «**فأعِنِّي على نفسك بكثرة السجود**»[2].

وفي السجود قرب من الله تعالى، وقرب من مناجاته سبحانه، وهو أحوج ما يحتاجه العبد بأن يكون قريباً من مولاه وخالقه ورازقه، فجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[3] وهكذا يعطينا مفهوم السجود معاني التقرب إلى الله تعالى، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه، والسجود عبادة لا يجوز صرفها إلا لله تعالىٰ.

ونستفيد من هذه النفحة النبوية أيضاً أن الشكر لا يكون إلا عملاً وتطبيقاً، فالشكر ليس باللسان وإنما عمل وتطبيق،

---

(١) رواه مسلم، عن ثوبان رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

والشكر عبادة عملية لا يجوز فعلها إلا لله تعالى، ولهذا كان النبي ﷺ يخرّ ساجداً شكراً لله تعالى، حينما يجيئه الأمر الذي يسرّه. والشكر فيه معنى آخر هو أن الله يزيد الشاكرين ويمنحهم ويفتح عليهم قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٧] فبالشكر تزداد النعم ويفتح الله على قلوب السائرين.

والشكر قام عليه الدّين، فالدّين قام على قاعدتي الذكر والشكر، فالذكر حياة للقلب، والشكر عمل للقلب وتطبيق عملي واقعي، ولهذا قال تعالى مبيّناً هاتين القاعدتين: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال ابن القيّم رحمه الله تعالى: «مبنىٰ الدين على قاعدتين: الذكر والشكر، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال النبي ﷺ: «**يا معاذ والله إني لأحبك، أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كلّ صلاة أن تقول: اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك**»[1] وليس المراد بالذكر ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللساني،

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح، وذلك لا يتم إلا بتوحيده، فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابّه ظاهراً وباطناً، وهذان الأمران هما جماع الدين فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس والسماوات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتب وأرسل الرسل. والشكر للقلب محبة وإنابة، وللسان ثناء وحَمْد، وللجوارح طاعة وخدمة»[1]. اهـ.

فتأمل هذه النسمة الندية من الشمائل المحمدية العملية، كيف فضل وأهمية السجود والشكر وأنهما عبادتان لا يجوز صرفهما إلا لله تعالى وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[2]

(أبو عبد الرحمن)

---

(١) «الفوائد» لابن قيم الجوزية (ص١٢٨).

(٢) انتهى من تبييضه يوم الأحد ١٠ من شعبان/ ١٤١١هـ الموافق ٢٤/ ٢/ ١٩٩١م.

خاتمة

في ختام ونهاية المطاف مع النسمات الندية من الشمائل المحمدية نجعل ختامها مسكاً في ذكر بعض الشمائل المحمدية من غير تفصيل ولا تعليق وإنما أردنا أن نختم بها هذه النسمات لتكون نسمة فوق نسمات ونفحات تزيد القلب حباً وشوقاً.

بعض الشمائل المحمدية الأخرى

١ ـ عن أنس رضي الله عنه: قال: «كان أحبّ الألوان إليه الخضرة»[١].

٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان أحبّ الشراب إليه الحلو البارد»[٢].

٣ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أحسن الناس، وأجود الناس وأشجع الناس»[٣].

٤ ـ عن أنس وابن عمر وجابر رضي الله عنهم قالوا: «كان إذا أراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنوَ من الأرض»[٤].

٥ ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: «كان إذا استجدّ ثوباً سمّاه باسمه قميصاً أو عمامةً أو رداءً، ثم يقول: «**اللَّهُمَّ لك الحمد، أنت كسوتنيه، أسالك من خيره وخير ما صُنع له،**

---

(١) حديث حسن، رواه الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم.

(٢) حديث صحيح، رواه أحمد والترمذي والحاكم.

(٣) متفق عليه، وأخرجه الترمذي وابن ماجه.

(٤) حديث صحيح، رواه أبو داود والترمذي والطبراني.

وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صُنع له»[1]».

٦ ـ عن أبي سعيد ﷺ قال: «كان إذا استفتح الصلاة قال: «**سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك**»[2]».

٧ ـ عن عائشة ﷺ قالت: «كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوّذات ومسح عنه بيده»[3].

٨ ـ عن عائشة ﷺ قالت: «كان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يُحْدِثَ توبة»[4].

٩ ـ عن أنس ﷺ قال: «إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فأدخله تحت حنكه فخللَّ به لحيته، وقال: «**هكذا أمرني ربي**»[5]».

١٠ ـ عن جابر ﷺ قال: «كان إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه»[6].

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم.
(٢) متفق عليه، ورواه ابن ماجه والحاكم.
(٣) متفق عليه، وأخرجه أبو داود وابن ماجه.
(٤) حديث صحيح، رواه أحمد والحاكم.
(٥) حديث صحيح، رواه أبو داود والحاكم.
(٦) حديث صحيح، رواه الدارقطني.

١١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك»[١].

١٢ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان إذا رأى ما يحب قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**» وإذا رأى ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال**»[٢]».

١٣ ـ عن جابر رضي الله عنه قال: «كان إذا صعد المنبر سلَّم»[٣].

١٤ ـ عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: «كان إذا عطس حمد الله، فيقال له: يرحمك الله، فيقول: «**يهديكم الله ويصلح بالكم**»[٤]».

١٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض صوته» حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي والحاكم.

١٦ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان إذا لبس قميصاً بدأ بميامنه»[٥].

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٢) حديث صحيح، رواه ابن ماجه.

(٣) حديث صحيح، رواه ابن ماجه.

(٤) حديث صحيح، رواه احمد والطبراني.

(٥) حديث صحيح، رواه الترمذي.

١٧ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان إذا ودّع رجلاً أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجلُ هو الذي يدع يده ويقول: «**أستودع الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك**»[١]».

١٨ ـ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان أكثر دعائه: «**يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك**». فقيل له في ذلك؟ قال: «**إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ**»[٢]».

١٩ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان تنام عيناه، ولا ينام قلبه»[٣].

٢٠ ـ عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما قالا: «كان له حمار اسمه عُفَيْر»[٤].

٢١ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان له خرقة، يتنشَّف بها بعد الوضوء»[٥].

٢٢ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان له سُكَّةٌ يتطيَّبُ بها»[٦].

---

(١) حديث صحيح، رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم.
(٢) حديث صحيح، رواه الترمذي.
(٣) حديث صحيح، رواه الحاكم.
(٤) حديث صحيح، رواه أحمد والطبراني.
(٥) حديث حسن، رواه الترمذي والحاكم.
(٦) حديث صحيح، رواه أبو داود.

٢٣ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان لا يدّخر شيئاً لغدٍ»[١].

٢٤ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لا يدع قيام الليل، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً»[٢].

٢٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان لا يُدْفَع عنه النَّاس، ولا يُضْرَبوا عنه»[٣].

٢٦ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان لا يَرُدّ الطيِّب»[٤].

٢٧ ـ عن سلمة رضي الله عنه قال: «كان لا يصيبه قُرحة أو شوكة إلا وضع عليها الحِنَّاء»[٥].

٢٨ ـ عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: «كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم»[٦].

٢٩ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يأمر أن نسترقي من العين»[٧].

٣٠ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان يبيت الليالى

---

(١) حديث صحيح، رواه الترمذي.
(٢) حديث صحيح، رواه أبو داود والحاكم.
(٣) حديث صحيح، رواه الطبراني.
(٤) رواه أحمد والبخاري والترمذي والنسائي.
(٥) حديث حسن، رواه ابن ماجه.
(٦) حديث صحيح، رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم.
(٧) رواه مسلم.

المتتابعة طاوياً وأهلُهُ، لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»[١].

٣١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير»[٢].

٣٢ ـ عن حفصة رضي الله عنها قالت: «كان يجعل يمينه لأكله وشربه ووضوئه وثيابه وأخذه وعطائه، وشماله لما سوى ذلك»[٣].

٣٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها قال: «كان يحبّ الحلواء والعسل»[٤].

٣٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان يصلّي على بِساط»[٥].

٣٥ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان يعجبه الرؤيا الحسنة»[٦].

٣٦ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان يمدُّ صوته بالقرآن مَدّاً»[٧].

---

(١) حديث حسن، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.
(٢) حديث صحيح، رواه الطبراني.
(٣) حديث صحيح، رواه أحمد.
(٤) متفق عليه، وأخرجه الأربعة.
(٥) حديث صحيح، رواه ابن ماجه.
(٦) حديث صحيح، رواه أحمد النسائي.
(٧) حديث صحيح، رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم.

٣٧ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان يمرّ بالصبيان فيسلّم عليهم»[١].

٣٨ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان يمشي مشياً يُعَرفُ فيه أنّه ليس بعاجز ولا كسلان»[٢].

٣٩ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان أكثر دعوة يدعو بها: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[٣]».

٤٠ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: «كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه، قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه، وإذا لقي أحداً من أصحابه فتناول أذنه ناوَله إيّاها ثم لم ينزعها حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها عنه»[٤].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

أبو عبد الرحمن
١٤١١هـ ـ ١٩٩١م

---

(١) رواه البخاري.
(٢) حديث حسن، رواه ابن عساكر.
(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود.
(٤) حديث حسن، رواه ابن سعد.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	٥
فصل في وجوب اتباع النبي ﷺ	٩
فصل الشمائل الخَلقية	١٨
فصل الشمائل الخُلقية	٢٥
فصل الشمائل النفسية	٤٢
فصل الشمائل القولية	٥٩
فصل الشمائل العملية	٧٧
خاتمة البحث	١٠٣
بعض الشمائل المحمدية الأخرى	١٠٤
الفهرس	١١١

قائمة إصدارات

الوعي الإسلامي

- القدس في القلب والذاكرة.
- حقوق الإنسان في الإسلام.
- النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية لواقع الصحوة الإسلامية.
- الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.
- المجموعة القصصية الأولى للأطفال.
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.
- الحج.. ولادة جديدة.
- الفنون الإسلامية.. تنوُّع حضاري فريد.
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد.
- المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.
- التجديد في التفسير.. نظرة في المفهوم والضوابط.
- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.
- مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي.
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام.
- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين.
- علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي.
- براعم الإيمان.. نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية.
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره.
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام.
- الحوالة.
- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس.
- الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي.
- الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة.
- التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد.
- فقه المريض في الصيام.
- القسمة.
- أصول الفقه عند الصحابة ـ معالم في المنهج.
- السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث العبادات.
- لطائف الأدب في استهلال الخطب.
- نظرات في أصول البيوع الممنوعة.
- الإعلاء الإسلامي للعقل البشري (دراسة في الفلسفات والتيارات الإلحادية المعاصرة).
- ديوان شعراء مجلة الوعي الإسلامي.
- ديوان خطب ابن نباتة.

- الإظهار في مقام الإضمار.
- مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم.
- الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي، وجهوده في كتابه «تهذيب الكمال».
- في رحاب آل البيت النبوي.
- الصعقة الغضبيّة في الردّ على منكري العربية.
- منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب.
- معجم القواعد والضوابط الفقهية.
- كيف تغدو فصيحاً.
- التنزيل الوصية الواجبة في الفقه الإسلامي.
- الفروق الدلالية لألفاظ التكرار في القرآن الكريم.
- تبصرة القاصد على منظومة القواعد.
- حقوق المطلقة في الشريعة الإسلامية.
- الضمان في الحقوق المعنوية والتحفيز التجاري.
- المذهب عند الحنفية ـ المالكية ـ الشافعية ـ الحنابلة.
- منظومات في أصول الفقه.
- أجواء رمضانية.
- المنهج التعليلي بالقواعد الفقهية عند الشافعية.
- نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده.
- دراسات وأبحاث علمية.
- ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه.
- التقصّي لما في الموطأ من حديث النبيِّ.
- المجموعة القصصية الثانية للأطفال.
- كرّاسة لوِّن لبراعم الإيمان.
- موسوعة رمضان.
- جهد المقِلّ.
- العذاق الحواني على نظم رسالة القيرواني.
- العربية والتراث.
- النسمات النّدية من الشمائل المحمّدية.
- أثر الاحتساب في مكافحة الإرهاب.
- القرائن وأثرها في علم الحديث.
- جهود علماء الحديث في توثيق النصوص وضبطها.
- سيرة حميدة ومنهج مبارك (الدكتور محمد سليمان الأشقر).
- أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول.
- نظام الوقف والاستدلال عليه.
- من أمالي العلّامة أبي فهر محمود محمد شاكر على كتاب الأصمعيات للأصمعي.
- من أمالي العلّامة أبي فهر محمود محمد شاكر على كتاب الكامل للمبرد.
- الترجيح بين الأقيسة المتعارضة.